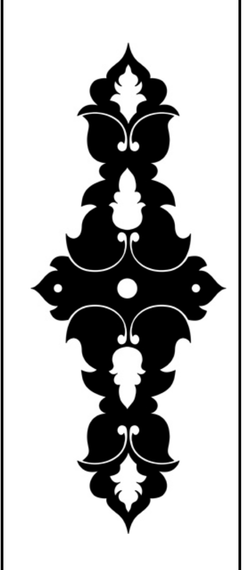


اِبكِ فإنك على حق

كل الحقوق محفوظة



هوية الكتاب

◈ الكتاب : إبكِ فإنك على حق

◈ المؤلف : الشيخ وسام برهان البلداوي

◈ الناشر : قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

◈ الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ

◈ الإخراج : قسم الشؤون الفكرية والثقافية



اِبكِ فإنك على حق

بحث استدلالي لإثبات مشروعية البكاء على سيد الشهداء عليه السلام

تأليف

الشيخ وسام برهان البلداوي

إصدار

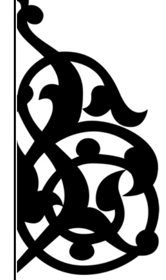
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الأبحاث والدراسات

١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة العلم والإيمان حمداً لا يحيط به إلا هو، والصلاة والسلام على الشجرة المباركة وعلى فرعها ولقاحها وثمرها وورقها محمد وآله الأطهار
السلام على السبط الشهيد، السلام على قتيل العبرة، السلام على الشيب الخضيب والبدن السليب.
إليك أبا الأحرار أزف بشرى ولادة الوليد الأول لقسم الشؤون الفكرية والثقافية لتبارك جهدنا المتواضع، وتمدنا بنور سموك، وترفدنا بروح جهادك لنبقى خدماً مخلصين مجدّين في عملنا.
تظافرت الجهود مع المؤلف في إيجاد هذا الوليد المبارك، فهناك من مد يد العون في التنقيح، وهناك من شارك في الصياغة الأدبية ليخرج الوليد سليماً معافى، وهناك من تبنى طبعه ونشره، فبهذه الجهود المشكورة تحققت الثمرة الأولى التي أسميناها (ابكي فإنك على حق)، كتيب بحث محبي الإمام الحسين (عليه السلام) على البكاء ويوقى إيمانهم بهذه الشعيرة المقدسة، فنسأل الله تعالى ان يمدنا بعونه لننجز المزيد.



الشيخ علي الفتلاوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة المؤلف

لا يخفى على القارئ إن القضية الحسينية سواء بجوهرها أو بتفاصيلها وجزئياتها تعرضت ومنذ السنين الأولى للثورة إلى محاولات عديدة من أجل تشويهها تارة، و تشويشها تارة أخرى، أو التشكيك في أهدافها وغاياتها تارة ثالثة.

وقد استمرت هذه المحاولات تترى سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل، كلما تجدد الزمان تجددت تلك المحاولات وتغيرت أساليبها.

ولكن هؤلاء المتصيدين في الماء العكر لما عجزوا عن المساس والحط من شخصية قائد ثورة ألطف الحسين بن علي عليهما السلام، ولما استعصى عليهم التشكيك بأهداف تلك النهضة العظيمة، مع محاولاتهم العديدة والكثيرة لتحقيق هذه الغايات الدنيئة، والتي تحطمت كلها على صخرة عظمة الحسين عليه السلام. وبعد العجز عن النيل من شخص الحسين عليه السلام عمدوا إلى التشكيك بالشعائر التي أفرزتها ثورة الحسين عليه السلام وأساليب إقامة العزاء الحسيني، ومن هذه التشكيكات، تشكيكهم بمراسم العزاء الحسيني عموماً، وبالبكاء والحزن على وجه الخصوص، ورمي تلك الطقوس المذهبية والإسلامية بالجاهلية تارة، وبالبدعة تارة أخرى، وبالتخلف وعدم مواكبة العصر تارة ثالثة.

ونحن هنا نقوم بمحاولة للدفاع والفهم الجاد لظاهرة الحزن والبكاء التي كثر

التهريج حولها من قبل بعض التيارات والمذاهب الإسلامية وحتى العلمانية، لنبين جذورها التاريخية وأدلتها الشرعية و العقلائية، ليتضح لدى أصحاب العقول المنصفة مقدار وحجم المؤامرة التي حاكها أعداء الإسلام من أجل تشويه الثورة الحسينية العظيمة عن طريق النيل من مراسيمها.

وسنعتمد في بحثنا عن ظاهرة الحزن والبكاء على سيد الشهداء عليه السلام، على مصادر المسلمين من غير الإمامية[1] لثلاثة اعتبارات:

الاعتبار الأول: هو إن مسألة الحزن والبكاء على سيد الشهداء عليه السلام في الفكر الشيعي الإمامي مسألة محلولة، والنصوص عندهم متواترة على استحباب الحزن والبكاء وإجراء الدمع على الخدود حزناً على ما جرى على سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء.

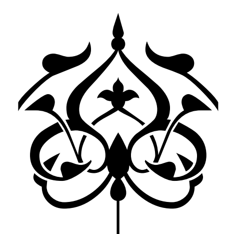
الاعتبار الثاني: هو من أجل معرفة القاصي والداني من الباحثين والقراء أن مسألة الحزن والبكاء هي مسألة إسلامية قبل أن تكون مذهبية، بل هي مسألة إنسانية قبل أن تكون إسلامية.

الاعتبار الثالث: هو من باب زيادة الحجة، وإلزام الآخرين بما ألزموا به أنفسهم، على اعتبار أن أغلب الذين اعترضوا وتضايقوا من مسألة الحزن والبكاء هم من المذاهب الإسلامية، فيكون البحث من خلال مصادرهم ألزم للحجة لهم وأبلغ في الاستدلال عليهم.

وقد جاءت هذه الرسالة لا لتكرار الكلام في هذا الموضوع بل لتسهيل وصولها إلى الكثيرين الذين لم يتسن لهم تحصيل ما كتب عنه، ولتوسيع مساحة قراءته لدى أبناء الأمة الإسلامية.

---

(١) في بعض الأحيان اعتمدنا على مصادر الإمامية نادراً من باب التأييد للمطلب العلمي الذي نذكره في طيات البحث، لا من باب الاكتفاء به كمصدر وحيد.



الحزن
غريزة خلقها الله
وأمر بتهذيبها



لما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، أودع في تركيبة خلقته الآدمية مجموعة من الغرائز والطباع[1] التي تساهم بمجموعها فيما لو كرست

---

(١) نشأت كلمة الغريزة من مغنى الغرز وهو دخول شيء في شيء آخر، بصورة كاملة وراسخة كمثل غرز لمسمار في الجدار، وتعني هذه الكلمة القوى الراسخة في طبيعة الإنسان رسوخا لا يمكن انفصالها عنها. وكلمة الغريزة تساوي لفظ الطبيعة، والفطرة، والسجية، قال صاحب لسان الميزان (ج٢، ص٢٣٢ مادة طبع): «الطبع السجية التي جبل عليها الإنسان... والطبع والطبيعة والخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان بمعنى واحد... وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعاً فطره». ولا يخفى إن الحزن وبناءً على ما تقدم يمكن أن يكون غريزة لأنه داخل وراسخ في طبيعة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصاله عنها، وهو كذلك طبع وفطرة وسجية لان هذه الألفاظ كلها لمعنى واحد تقريباً.

من هنا نرى إن الأحاديث الشريفة وكلمات العلماء استعملت معنى الغريزة على مصاديق شتى كقول الرسول الأعظم ﷺ: «وأعلم إن الجبن والحرص غريزة يجمعهما سوء الظن» راجع الوسائل: ح١٢، ص٤٦، الباب ٢٦ من أبواب أحكام العشرة الحديث الأول. وقال السيد محمد سعيد الحكيم وهو يتكلم عن ←

تكريساً إيجابياً في تكامل الإنسان ورقيه.

وكان من بين هذه الطبائع والغرائز غريزة الحزن والبكاء. فالإنسان موجود بكيفية يستجيب معها لمختلف مؤثرات البيئة، بأفعال وحركات وحتى إفرازات في بعض الغدد الموجودة داخل الجسم بحسب ما يقتضيه الظرف المحيط بالإنسان في لحظات الانفعال مع المحيط الخارجي، فنراه يقبض يده مثلا عند ملامسة شيء ساخن، وحينما يمر بظروف تفرحه وتسره فانه يعبر عن ذلك الفرح وهذا السرور بالابتسامة تارة و الضحك تارة أخرى، وكذلك يغضب عندما يمر بظروف لا تلائم طبعه وتخرجه عن حالة الارتياح فيغضب معبرا عن حالة غضبه بالصراخ أو الضرب وغير ذلك، كما انه يحزن حينما يشعر بخسارة في مال أو ولد، فيعبر عن هذا الحزن بدموع تجري على خديه وزفرات وآهات تملأ قلبه.

الغناء ما يلي: «فإذا كان الاستماع بهدف إشباع غريزة حب اللهو والبطالة كان حراماً...» راجع حواريات فقهية: ص٣٣٥. حتى إن بعض العلماء اعتبر العقل من الأمور الغريزية فقال وهو يصف العقل بقوله: «هو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات». راجع مغني المحتاج: ح ١، ص ٣٣ لمحمد الشربيني ولا يخفى إن اعتبار العقل غريزة هو باعتبار كونه داخل وراسخ في تركيبة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصاله عنها.

وقال هارتمن (١٨٤٢ ـ ١٩٠٦): «الغريزة... هي ما يأتيه الفرد من نشاط خالص نابع من صميم طبيعته ومن صلب تكوينه»، موسوعة علم النفس الشاملة: ج٤ ص٥٥.

إذن فالحزن وما ينتج عنه من البكاء طبع من عشرات الطباع التي غرزت وأودعت في فطرة الإنسان، يوم خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[1] عن ابن عباس قال: «**إن الله هو اضحك وأبكى أي خلق في الإنسان الضحك والبكاء**»[2].

والدين الإسلامي الخاتم، قد رفع شعاراً على لسان نبيه الكريم ﷺ، أوضحه بقوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3]. وتجسيدا لهذا الشعار، وانطلاقاً من مفهومه أمر الله سبحانه الناس بتهذيب أخلاقهم، وبمعنى أخر أمرهم بتهذيب تلك الغرائز والطباع المودعة في فطرتهم، وجعلها تعيش حالة الوسطية والاعتدال بين حالتي الإفراط والتفريط وهذا ما يمكن استكشافه من كثير من الروايات الشريفة والآيات نظير ما روي عن بعض الصحابة انه: قال لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال أقوام يقول احدهم كذا وكذا، لكني أصوم وافطر وأنام وأقوم واكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني...**»[4]، فنزلت على اثر هذه الحادثة وغيرها من الحوادث قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢، ٤٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ج ١٠، ص ٦٣.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ج ١٠، ص ١٩٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٩٠.

﴿أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1] وفيها أمر واضح بان يكون منهج الإنسان عدم المبالغة في التضييق بحيث يصل إلى مرتبة تحريم المباحات، وعدم الإسراف بحيث يتعدى إلى المحظورات والمحرمات، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[2] وبالجملة فان الإسلام معروف بأنه دين الوسطية وهذه الأمة المرحومة هي أمة الوسط بين رذيلتي الإفراط والتفريط قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ...﴾[3].

والحزن وأثاره من البكاء شأنه شأن تلك الغرائز والطباع التي أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بتهذيبها، فالحزن نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، وله التأثير الكبير والفاعل في رقي الإنسان وتكامله[4]، وقد أخطأ أولئك الذين ظنوا بان قتل غريزة الحزن وإخماد آثارها كالبكاء يسبب للإنسان الكمال، غافلين عن إن الله سبحانه وتعالى ما خلق لنا هذه الغريزة ولا أعطانا هذه النعمة، لنميتها ونخمد صوتها داخل النفس الإنسانية بل ندبنا لبثها والتعبير عنها، وكذلك أخطأ أولئك المفرطون في الحزن، الذين صار

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

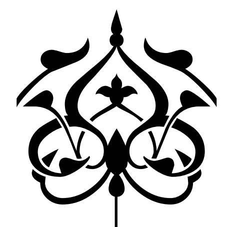
(٤) سيأتي الكلام حول تأثير الحزن والبكاء في تكامل الإنسان على المستوى المادي والمعنوي.

حـزنهم ودمـوعهم بـاب إلى الجـزع والاعـتراض علـى مقـادير الله سـبحانه وتعالى وقضائه.

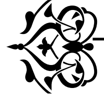
وأبلغ كلمة قيلت لتبيان الحد الوسط بين الإفراط والتفريط في مسألة الحزن، هي ما جاءت على لسان النبي الكريم ﷺ يوم مات ولده إبراهيم حيث قال: **«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب»**[1].

إذن فتحصل مما سبق إن الحزن وآثاره من رقة القلب وبكاء العين، هو نعمة خلقها الله سبحانه وتعالى وأودعها في صميم تركيبة الإنسان، وأمره بتهذيبها والخروج بها من حالتي الإفراط والتفريط، ليصل من خلال هذه النعمة الى كماله ورقيه.

(١) صحيح مسلم: ج ٧، ص ٧٦، الناشر دار الفكر- بيروت.



البكاء
وأثاره الروحية والبدنية



ما من شيء خلقه الله سبحانه وتعالى وأودعه في تركيبة الإنسان إلا وكان على وفق أعلى مستويات الحكمة والمصلحة لأن الله جل وعلى حكيم لا يوجد ما هو عبث وغير ضروري، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الحزن والبكاء لما كان موجوداً ومخلوقاً لله سبحانه لا بد أن يكون لمصلحة وحكمة وأن كانت هذه الحكمة والمصلحة والفائدة خافية على كثير من الناس، وقد صرحت النصوص الشرعية والأبحاث العلمية الحديثة على أن للحزن والبكاء فوائد لا تحصى ولعظيم فائدة البكاء نراه قد صاحب جميع مراحل الحياة منذ أول يوم يوجد فيه الإنسان على سطح هذه المعمورة، إلى ساعاته الأخيرة في الحياة.

وسنستعرض للقارئ الكريم بعض تلك الفوائد العلمية والشرعية بما

(١) سورة التين، الآية: ٤.

يتناسب وحجم بحثنا هذا:

أولا: فوائد الحزن البكاء المعنوية

من بديهيات الفكر الإسلامي أن للعالم ومن ضمنه الإنسان عالمين وبعدين بعد مادي وبعد روحي، أو قل بعد ظاهري وبعد غيبي، ولكل من هذين العالمين قوانينه الخاصة، وأن كان هنالك ترابط وثيق وحقيقي بين كلا العالمين، وما يقع في أحد هذين العالمين سيؤثر وبشكل فاعل على العالم الأخر كما سنرى ذلك عند استعراضنا لبعض الأحاديث الشريفة، ومن تلك الفوائد التي أحببنا تبيانها للبكاء ما يلي:

ألف: أن الحزن البكاء أحد مظاهر التقوى والخشوع

ففي خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي وصف فيها المتقين جاء: «فالمتقون فيها أهل الفضائل... قلوبهم محزونة... تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم»(١) فالحزن وفق هذه الكلمات الشريفة لأمير المؤمنين هو من جملة فضائل المتقين وميزاتهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فإن الله يحب كل قلب حزين، وأنه لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، وإذا أبغض الله عبدا جعل في قلبه مزماراً من**

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٦٧.

الضحك وإن الضحك يميت القلب والله لا يحب الفرحين»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء، ولو أن عبداً بكى في أمة لرحم الله تعالى ذكره تلك الأمة لبكاء ذلك العبد»**[2].

باء: الحزن والبكاء ينير القلب ويرققه

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب»**[3].

وعنه عليه السلام أيضا أنه قال: **«ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»**[4].

جيم: البكاء في الدنيا نعيم في الآخرة

عن الإمام الباقر عليه السلام: **«كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث، عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن المحارم»**[5].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٧٦، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٣٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي: ص ٢١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٥. بحار الانوار: ج ٧٦، ص ٥٥.

(٥) أصول الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٨٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من شيء إلا وله كيل أو وزن إلا الدموع فإن القطرة تطفئ بحاراً من نار، وإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة فإذا فاضت حرمه الله على النار، ولو إن باكياً بكى في أمة لرحموا»**(١).

ومن جملة وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له: **«... والرابعة كثرة البكاء لله يبنى لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة»**(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: **«ما من عين إلا وهي باكية يوم القيامة إلا عينا بكت من خوف الله وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عز وجل إلا حرم الله عز وجل سائر جسده على النار...»**(٣).

دال: بالبكاء يستجاب الدعاء

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء...»**(٤).

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: **«أن خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها فابدأ بالله فمجده وأثنى عليه كما أهله وصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واسئل حاجتك وتباك ولو مثل رأس الذباب، أن أبي عليه السلام كان يقول أن**

---

(١) أصول الكافي للشيخ الكليني: ص ٤٨١.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٤، ص ١٨٩.

(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ٤٨٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٣٦.

أقرب ما يكون العبد من الرب عز وجل وهو ساجد باك»[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«احذر دمعة المؤمن فإنها تقصف**[2] **من دمعها، وتطفئ بحور النيران عن صاحبها...»**[3].

هاء: البكاء استغفار لله وتهليل وتسبيح ودعاء

إن الناس وبسبب ابتعادهم عن الأجواء المعنوية والتصاقهم بالأجواء والمفاهيم المادية الصرفة لا يفهمون كثيراً في القضايا التي لها بعد معنوي سامي، ومن ضمن هذه الأمور التي لم يفهمها الناس قضية البكاء سيما بكاء الأطفال فعامة الناس تفهم من بكاء الأطفال وغير البالغين مصدراً للإزعاج وعدم الراحة بينما الإسلام والنصوص الشرعية ترى من ذلك البكاء ذكراً وتسبيحاً ودعاءً واستغفاراً، فقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال: **«لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأربعة أشهر الدعاء لوالديه»**[4].

وقد روي أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«...فبكاؤه لا إله إلا الله، الى أن تأتي عليه سبع سنين فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه**

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٤٨٣.

(٢) أي تكسر.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٧، ص ٣٤٧.

(٤) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٣١.

الى أن يأتي عليه الحد فإذا جاز الحد فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيئة فلا عليهما»[1].

وقال بعض المحققين: «السر في أن الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عز وجل الذي فطر على معرفته وتوحيده فبكاؤه توسل إليه والتجاء به سبحانه خاصة دون غيره، فهو شهادة له بالتوحيد، وأربعة أخرى يعرف أمه من حيث أنها وسيلة لاغتذائه فقط، لا من حيث أنها أمه، ولهذا يأخذ اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدة غالباً، فلا يعرف فيها بعد الله إلا من كان وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الذي هو مكلف به تكليفاً طبيعياً من حيث كونها وسيلة لا غير وهذا معنى الرسالة، وأربعة أشهر أخرى يعرف أبويه وكونه محتاجاً إليهما في الرزق فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء»[2].

وعن تفسير الميزان جاء: «أن الطفل في الأربعة أشهر الأولى لا يعرف أحدا وإنما يحس بالحاجة فيطلب في البكاء رفعها والرافع لها هو الله سبحانه... وفي الأربعة أشهر الثانية يعرف والديه واسطة ما بينه وبين رافع حاجته من غير أن يعرفهما بشخصيهما والواسطة بينه وبين ربه هو النبي فبكاؤه طلب للرحمة من ربه للنبي حتى يصل بتوسطه إليه. وفي الأربعة أشهر الثالثة يميز والديه عن غيرهما فبكاؤه دعاء منه لهما وطلب جريان

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١٦، ص ٥٣.

(٢) بحار الانوار: ج ٥٧، ص ٣٨٢، و: ج ٩١، ص ٥٥.

الرحمة من طريقهما إليه»[1].

ثـم ان الأخبـار في فـضل البكـاء والبـاكين والفوائـد الروحيـة والمعنويـة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لمتفكر.

ثانيا: فوائد البكاء المادية والبدنية

ألف: في الطفل إذا خرج من بطن أمه

إن الطفـل إذا خـرج مـن بطـن أمـه يكـون في بدنـه كـثير مـن الرطوبـات المفسدة التي لو لم تخرج منه لا فسدت عليه بدنه ولا يخرجها منه إلا البكـاء وتعصر الأعصاب والعروق، فيكـون البكـاء لأجلها، ومـن أجـل هـذا نهـي عن ضربه على البكـاء[2]، وهـذا المعنـى مـروي أيـضاً عـن الـصادق عليه السلام في حديثه مع المفضل بن عمر حيث قال عليه السلام: **«اعرف يا مفضل ما للأطفـال في البكاء من المنفعة، واعلم إنَّ في أدمغة الأطفـال رطوبـة، إن بقيـت فيهـا أحـدثت علـيهم أحـداثاً جليلـة وعلـلاً عظيمـة مـن ذهـاب البـصر وغـيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم، والـسلامة في أبـصارهم، أفلـيس قـد جـاز أن يكـون الطفـل ينتفـع بالبكـاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضـاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان إن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة فهكذا يجوز أن في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفـوا ذلـك لم**

---

(١) تفسير الميزان: ج ١٦، ص ١٨٨.

(٢) كما قد أوضحناه قبل قليل.

يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون، وكثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته»[1].

باء: في البكاء راحة للقلب ورفع للحزن

قد ثبت بالدليل المادي والعلمي إن لاحتباس الهم والحزن في داخل النفس وعدم تفريغه بالوسائل الطبيعية التي من ضمنها البكاء يؤدي بالإنسان الى مساوئ وأضرار بدنية ونفسية وخيمة لا تحمد عقباها فالصدمات العصبية الناتجة عن حالات الحزن والهم والمصائب الدنيوية تضر بالجهاز العصبي ضرراً بالغاً وبالخصوص الدماغ فغالباً ما يتعرض هؤلاء الناس الى توقف في واحدة من وظائف الدماغ والذي يؤدي إلى فقد حاسة من الحواس أو الشلل الكلي أو الجزئي بحسب شدة تلك الصدمة، ولتلك الصدمات أثر بالغ ليس على الجهاز العصبي والدماغ فحسب بل على سائر الوظائف الأخرى والأجهزة الأخرى فكل أجزاء وأعضاء الجسم تتأثر بذلك عادة. فداء السكري ينتج عن صدمة عصبية، وقرحة المعدة واحدة من أسبابها الصدمة العصبية، والسكتة القلبية واحدة من أهم أسبابها الصدمة العصبية الى غير ذلك مما لا يحصى من الأمراض التي تنتج عن الهم والحزن والصدمات التي لا تفرغ وتضل

(١) بحار الأنوار: ج ٣، ص ٦٥.

مكبوتة في داخل النفس.

ولعل أحسن علاج تداوى فيه كل تلك الأمراض فيمتنع معه حدوثها وينقطع به سببها هو البكاء، فهو وسيلة طبيعية لتفريغ شحنات الهم والحزن والصدمات العصبية وإخراجها من حالة الكبت المضر الى حالة من الدموع تريح النفس وتحافظ على سلامة البدن. من هنا جاءت الروايات الشريفة تحثنا على البكاء في حالة التعرض لمصيبة يخاف من تأثيرها على عقل الإنسان أو بدنه أو روحه، فعن أبي منصور قال: **«شكوت إلى أبي عبد الله** عليه السلام **وجداً وجدته على ابن لي هلك حتى خفت على عقلي، فقال** عليه السلام **إذا أصابك من هذا شيء فأفض من دموعك فإنه يسكن عنك»**[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً انه قال: **«من خاف على نفسه من وجد بمصيبة فيفض من دموعه فإنه يسكن عنك»**[٢].

جيم: الدمع والبكاء يحفظ العين ويقتل الجراثيم

قال الدكتور سمير الصليبي: «أنظر الى المرآة، فيتحقق لك أن الجفون تعمل بدقة فائقة على سطح مقلة العين المتقوسة، كمسّاحات زجاج السيارات الأمامي ـ فتأتي غدد الدموع على هذا المسطح كغاسلات تلقائية للغسل والتنظيف بصورة مستمرة ـ والسائل الدمعي هو في حد ذاته أعجوبة

(١) الكافي للكليني: ج ٣، ص ٢٥٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ١، ص ١٨٧.

من أعاجيب الطبيعة، فهو يحتوي على مادة أسمها «ليزوزيم»، هي جرثومة قاتلة أشد فتكاً من حمض «الكربوليك» لكنه ليس بالمؤذي إطلاقاً للعين، واللعين بدون ماده الليزوزيم معرضة أكثر فأكثر للتلوث، أما السائل الدمعي فيصنع باستمرار في ساعات اليقظة، وتوصد غدده نفسها بنفسها في حالات الرقاد والكمية المصنعة هي ذاتية التنظيم، تفرز عادة الكمية اللازمة لوقاية القرنية من النشفان ولتبقى مقلة العين في رطوبة كافية، وهكذا عندما تتحرك العين أو ترمش الجفون لا يقع احتكاك بين غشاء الجفن الداخلي المسمى بـ «الملتحمة»، ومقدمة العين التي ينزلق عليها، ويعرف كل منا ولاشك أن طعم الدمع مالح كطعم الدم، فالدموع والدماء لها كثافة ملح البحر، وفي حال وجود دخان أو غبار أو أجسام مثيرة أو مهيجة في الجو، تزداد كمية الدموع تلقائياً، وهذا يعطينا مزيداً من مادة «الليزوزيم» للتطهير كما أن فيضاً من السائل الدمعي يحضّر، ليذيب الأوساخ ويغسل العين، والسائل الدمعي بعد أن يقوم بغسل وتزييت العين وإبادة الجراثيم يخرج منها من خلال أنبوب تصريف دقيق جداً وهو مجرى للدمع خاص يصب في الأنف لهذا يقال أن أنفك يسيل عندما تبكي وأنت ترى بسهوله في المرآة ثقب هذا المجرى على حافة الجفن في زاويته القرنية في الأنف، أي الموق الداخلي.

والدموع لا تجري في هذا الأنبوب بحكم الجاذبية فحسب بل تضخ ضخاً بواسطة كيس الدمعة الموجود تحت الجلد قريباً من الأنف والذي

يسحب الدمعة سحباً من العين ويصبها في الأنف. وهذه المضخة يسيرها العضل نفسه الذي يجعل العين ترفّ وترمش، فمع كل فتحة عين وغمضة عين تمتص هذه المضخة مقداراً قليلاً من الدمع يجنبها فيضان الدموع عليها، والعين تدمع بغزارة عندما ينسد أنبوب التصريف، أو عندما يعجز عن تصريف فيض الدموع...»[1].

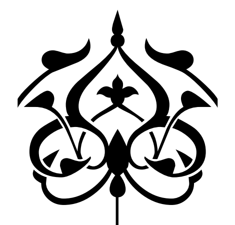
ويقول الدكتور محمد كمال عبد العزيز: «يتكون الجهاز الدمعي من غدة دمعية وكيس دمعي... وتقوم الدموع بترطيب العين وتعقيمها وتنظيفها مما يعلق بها من أتربة وغبار وميكروبات، حيث تحتوي الدموع على مواد مطهرة تقتل الميكروبات، ومواد منظفة تزيل الأتربة.

ويزيد إفراز الدموع عند البكاء حيث تهدأ النفس وتبرد لوعة الحزن. وكما إن الدموع تغسل العيون فإنها كذلك تغسل القلوب مما علف بها من أدران...»[2].

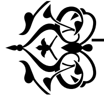
---

(١) العين للدكتور سمير الصليبي: ص ١٧.

(٢) إعجاز القرآن في خلق الإنسان: ص ١٨٤.



سيرة العقلاء
تقر الحزن والبكاء



اتضح لنا من خلال ما بيناه سابقاً، إن الحزن ما هو إلا تفاعل طبيعي بين الإنسان والظروف المحيطة به، ينتج عنه استجابة عضوية وعصبية وفسيولوجية معقدة في كثير من الأحيان، تترجم هذه الاستجابة عن طريق إفراز غدد الدمع في العين مادة الدمع[1].

وهذا التفاعل الطبيعي مع المحيط لا يختص به فرد دون آخر ولا عصر دون عصر، فالناس جميعاً منذ إن خلق الله سبحانه البشر الى يومنا هذا بقيت وستبقى تحزن وتبكي حينما تمر بظروف وأحوال تدعوها الى الحزن والبكاء.

من هنا ومما للحزن والبكاء من أهمية مادية وروحية يمكن لنا القول إن

---

(١) إنطلاقاً من هذه الفكرة وان الإنسان يتفاعل مع محيطه وان هذه التفاعلات تترجم في اغلب الأحيان بتفاعلات عضوية وعصبية وفسيولوجية اخترع جون لارسن ما يسمى بجهاز مقياس الكذب وعدله ليونارد كيلو وجعله يكشف ويرصد التغييرات الجسمية مثل ضغط الدم ومعدل النبض ومعدل التنفس وموجات الجلد الكهربائية، ومن خلال هذه التغيرات يمكن اكتشاف الحقيقة من الكذب.

سيرة العقلاء على امتداد السنين جارية على إقرار البكاء والحزن كحالة طبيعية في حياة من يمر بمصيبة، كفقد عزيز له، بل ربما عاب هؤلاء الناس العقلاء على من يمر بمصيبة ولا يحزن ولا يبكي، فيوصف من قبلهم بقسوة القلب والغلظة في الطبع.

وهذا الإجماع من العقلاء على تجويز وارتضاء الحزن والبكاء عند المصائب دليل على جوازه الشرعي لاستحالة اجتماع العقلاء الذين من ضمنهم الأنبياء والأوصياء على الخطأ، سيما إذا امتدت هذه السيرة العقلائية لأجيال وأجيال، وهذا الكشف للحكم الشرعي من السيرة العقلائية مبني على قاعدة الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع وانه كلما حكم به العقل حكم به الشرع، فإذا حكم العقل باستحسان شيء مثلاً، لا بد من حكم الشرع به أيضاً، لعدم الانفكاك بين الحكمين، وبحسب الحقيقة حكم العقل الذي كان مورد وفاق العقلاء بما هم عقلاء نفس حكم الشرع بلا فصل ولا غيرية لعدم الفصل بين الشارع والعقلاء لأنه سيدهم، فإذا كان الحكم ثابتا عندهم قطعا فلابد أن يكون الحكم كذلك عند الشارع، لان الشارع أحد العقلاء وسيدهم فإذا كان العقلاء بما هم عقلاء مجتمعين ومتفقين على حسن شيء وقبحه فلابد أن يكون الشارع داخلا ضمن ذلك[1].

ولو فرضنا إن الله سبحانه لم يرتض هذه السيرة العقلائية، وكان

---

(١) مئة قاعدة فقهية ـ السيد المصطفوي: ص ٢٦٨، بتصرف بسيط.

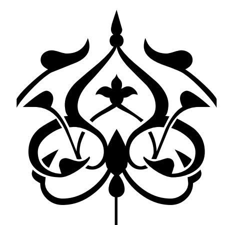
الحزن والبكاء مبغوضاً له، ومحرماً عنده، لوجب بيان ذلك وفقاً لقاعدة قبح العقاب بلا بيان.

وينبغي أيضاً عدم الاكتفاء من قبل الشارع المقدس جل وعلى بمجرد البيان، بل يجب إن يكون هذا البيان والردع عن تلك السيرة العقلائية شديدا ولمرات عديدة وكثيرة تتناسب مع حجم ونطاق تلك السيرة العقلائية.

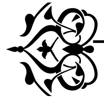
لكننا لم نجد في التشريعات والأحكام السماوية ما ينهى عن هذه السيرة العقلائية، وما روته بعض المذاهب الإسلامية من وجود بعض الروايات التي تنهى عن الحزن والبكاء، هي روايات آحاد لا تصلح أن تعارض تلك السيرة العقلائية الممتدة لأجيال طويلة، بل ان روايات الآحاد هذه معارضة بروايات صحيحة متواترة لفظا أو معنى مؤيدة ومجوزة لظاهرة الحزن والبكاء.

بل ويمكن تأويلها لو صحت أمثال هذه الروايات الناهية عن البكاء والحزن بان النهي إن وجد إنما هو متوجه الى الحزن والبكاء المفرط الذي يؤدي بالإنسان الى الجزع المنهي عنه شرعاً، والمؤدي إلى حالة الاعتراض على مقادير الله سبحانه وقضائه.

ومن هذا يتضح إن الله سبحانه لم ينه عن تلك السيرة بل أجازها وأقرها. ولولا ذلك الإقرار والقبول لما وقع الحزن والبكاء من الرسل والأنبياء عليهم السلام وهو ما سنتعرض له لاحقاً.



الحزن والبكاء
شعار الأنبياء



الأنبياء العظام عليهم السلام شأنهم شأن جميع البشر أودع الله سبحانه وتعالى فيهم غريزة الحزن والبكاء، فقاموا بتهذيبها وصقلها على وفق الرضا الإلهي، بحيث خرجت عن حدي الإفراط والتفريط المنهي عنهما في الشريعة الإلهية.

وقد اشتهر بعض الأنبياء العظام عليهم السلام بهذه الصفة ـ صفة الحزن والبكاء ـ أكثر من غيرهم، حتى أصبح الحزن والبكاء سمة مميزة لهم، ونستطيع إن نستذكر مجموعة كانوا محل إجماع من قبل المسلمين ومن هؤلاء نبي الله يحيى الذي عد من البكائين في كتب التاريخ والذي بلغ من شدة بكائه أن صار له شقان في خديه من كثرة البكاء حتى قال له أبوه: «إنما سألت الله ولدا تقر به عيني فقال يا أبه إن جبرائيل أخبرني إن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء»[1] ومن الواضح ان جواب نبي الله يحيى عليه السلام عام لا يخصص بالبكاء من خشية الله فقط دون غيره من أقسام البكاء، بل هو شامل لكل

(١) تاريخ بغداد: ج ٤، ص ٢٦٧. تاريخ مدينة دمشق: ح ٧، ص ٤١٥.

بكاء يساهم في قطع تلك المفازة والعقبة التي بين الجنة والنار والبكاء على الحسين سلام كما سيأتي يساهم وبشكل فاعل في رفع الدرجات وحط السيئات ويسكن صاحبه الجنات وبالتالي فهو من الأقسام التي تساعد على قطع تلك العقبة فيكون مشمولا بقول داود عليه السلام ، ولم يكن نبي الله داود بدعا ممن سبقه من الأنبياء والرسل فقد ورد في الحديث : «**لو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء داود ما عدله...**»[1] ، ومن قبلهما كان ادم عليه السلام الذي بكى على الجنة بعد إخراجه منها أربعين عاما.

فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**هبط ادم من الجنة بياقوتة بيضاء يمسح بها دموعه ، قال : وبكى ادم على الجنة أربعين عاما فقال له جبرائيل يا ادم ما يبكيك إن الله بعثني إليك معزيا فضحك ادم فذلك قول الله** ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[2] **فضحك ادم وضحكت ذريته وبكى ادم وبكت ذريته**»[3] ، وعن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن ثوير بن أبي فاخته قال : «**سمعت علي بن الحسين** عليه السلام **يحدث رجلا من قريش قال : لما قرب ابنا ادم القربان... وأحس قلب ادم بالذي فعل قابيل ، فلما بلغ مكان القربان استبان قتله فلعن ادم الأرض التي قبلت دم هابيل ، وأمر ادم أن**

(١) الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطي : ج ٥ ، ص ٣٠٤.

(٢) سور ة النجم ، الآية : ٤٣.

(٣) الدرّ المنثور للسيوطي : ج ٦ ، ص ١٣٠.

يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء: لعنت كما قتلت أخاك، ولذلك لا تشرب الأرض الدم فانصرف ادم فبكى على هابيل أربعين يوما وليلة... فأوحى الله إليه: أني واهب لك ذكرا يكون مباركا، فلما كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا ادم إن هذا الغلام هبه مني لك فسمه هبة الله، فسماه ادم هبة الله»[1].

وكذلك حال يعقوب النبي عليه السلام الذي بكى على ولده يوسف الى إن ابيضت عيناه من شده الحزن والوجد على ابنه فهو كظيم.

ولو لاحظنا القرآن الكريم حينما يستعرض قصة يعقوب عليه السلام وحزنه وبكاءه وفقد بصره فانه لا تصدر منه حتى كلمة عتاب أو تقريع بحق يعقوب عليه السلام حاشاه، بل إن أجواء وسياق القصة التي ذكر فيها حزن يعقوب تعكس حالة الرحمة والشفقة من قبل الله سبحانه على ما وصل إليه حال ذلك الشيخ النبي عليه السلام، وهذا السياق وتلك الطريقة التي استعرضت من خلالها قصة يعقوب تجعل القارئ لتلك الآيات يشعر بذلك الحزن والألم الذي حل بيعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١١، ص ٢٣٠ و ٢٣١.

﴿رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[1] والأسف هو اشد حالات الحزن، وابيضت يعني عميت، وكظيم يعني محزون.

والتفكر في قصة نبي الله يوسف ويعقوب عليهما السلام والتدبر في مضامينها العالية يقودنا إلى نتائج مهمة للغاية منها:

أولاً: جواز الحزن والبكاء على الأشخاص المفقودين الذين تكون لهم محبة خاصة في نفس الإنسان، سيما لو كان ذلك الفقيد ذا منزلة خاصة كمنزلة يوسف عليه السلام.

ثانياً: إن هذا البكاء والحزن جائز بالرغم من وصوله درجة بليغة تذهب بالبصر، ما لم يكن ذلك البكاء والحزن جزعاً ورفضاً لقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، فكل حزن مقرون بالصبر مستحب ومندوب، وكل دمع نزل رقة ورحمة أو شوقا فهو محبوب مهما تكن غزارته، وكل دمع فيه شعور بالسخط وعدم رضا بالقضاء الإلهي فهو مذموم ومرفوض حتى لو كان دمعة واحدة.

وفي الآية الكريمة: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، ظهور جلي في إن بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام كان مقرونا بالصبر والأمل، ومما يؤيد أن بكائه عليه السلام لم يكن بكاء سخط واعتراض ما جاء عن قتادة انه قال: «وَابْيَضَّتْ

---

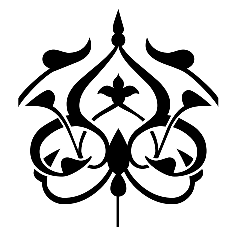
(١) سورة يوسف، الآية: ٨٤ إلى ٨٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

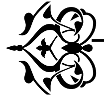
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ يقول: يردد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء»[1]، وعنه أيضا قال: «كظيم على الحزن ولم يقل إلا خيراً»[2].

(١) جامع البيان لأبن جرير الطبري: ج ١٣، ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر السابق.



البكاء والحزن
ظاهرة اجتماعية
في الإسلام



الذي يظهر من تتبع النصوص التاريخية الإسلامية إن البكاء والحزن كانا يمثلان ظاهرة اجتماعية اعتاد عليها المجتمع في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكم من مرة ومرة رأى فيها المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهش بالبكاء حزناً ، وكم من مرة ومرة أجهش المسلمون بالبكاء لسماعهم بكاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من على منبره ، فيبكون لبكائه ويحزنون لحزنه ، دون استغراب منهم ، ودون إن ينهاهم عن ذلك.

وبهذا يتضح جلياً إن ظاهره الحزن والبكاء كانت غير مستهجنة عند المسلمين الأوائل ، بل إنها كانت تعبر عن رقة قلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم قسوة الباكين.

وقد وقع اختيارنا على مجموعة من الشواهد ، توضح هذه الحقيقة التي بيناها أعلاه :

الأول : روي أن إعرابيا أتى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسأله عن بنت له

كانت قد ولدت في الجاهلية فأراد أن يئدها فتشفعت إليه امرأته وتوسلت أن يتركها فتركها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها منه فدخلته الحمية ولم يحتمل قلبه أن يزوجها، فقال لزوجته إني أريد أن اذهب إلى قبيلة كذا وكذا لزيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك الفتاة، قال فزينتها الأم بالثياب والحلي وأخذت علي المواثيق بان لا أخونها، قال فذهبت الى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية إني أريد أن القيها في البئر فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول يا أبتاه ماذا تريد أن تفعل بي؟ قال فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبتاه لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبت قتلتني، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله ﷺ وقال: **«لو أمرت أن أعاقب أحداً لما فعل في الجاهلية لعاقبتك»**[(١)].

الثاني: أخرج الدارمي في سننه عن الوليد بن النضر إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد وكانت عندي ابنة لي فلما أجابت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوماً فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير

(١) تفسير القرطبي: ج٧، ص٩٧، الطبعة ١٤٠٥، المطبعة دار إحياء التراث العربي.

بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر وكان أخر عهدي بها أن تقول يا أبتاه يا أبتاه، فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف ـ سال ـ دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله: أحزنت رسول الله ﷺ، فقال له: كف فانه يسأل عما أهمه ثم قال لهﷺ: أعد علي حديثك فأعاده فبكىﷺ حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته»[1].

ونستظهر من هاتين الروايتين جواز البكاء على من مات مظلوماً بصورة تثير الشفقة والرحمة حتى وإن كان ذلك الميت من غير المسلمين لان تلكم البنتين قد ماتتا في الجاهلية ولم تدركا الإسلام أصلا، ومع ذلك بكى عليهما رسول الله ﷺ لأنه ﷺ كان ينظر إلى الجانب الإنساني في هاتين الحادثتين قبل الجانب الديني البحت وان كان كلا الجانبين لا ينفكان عادة.

والشيء الثاني الذي نستطيع اكتشافه من الرواية الثانية بالخصوص جواز إعادة وتكرار نفس المصيبة وجواز تكرار البكاء والحزن عليها، لان النبي ﷺ بعد إن أتم الرجل قصته وبكى حتى وكف دمعه على لحيته الشريفة، طلب منه إن يعيدها ثانية عليه، فبكى مرة أخرى بحرقة وألم.

كما ويتضح لنا جواز عقد المجالس وقراءة المصائب والقصص المثيرة للرحمة والشفقة على من مات مظلوماً ومغدوراً، لان النبي ﷺ في

---

(١) سنن الدارمي: ج ١، ص ٣، مطبعة الاعتدال ـ دمشق.

الروايتين السابقتين لم يكن وحده في المجلس بدليل ان بعض جلساء النبي ﷺ قال في الرواية الثانية للسائل «أحزنت رسول الله»، فكل واحد من السائلين روى قصته التي أبكت النبي الأعظم ﷺ أمامهم.

الثالث: ما روي في صحيح البخاري بسنده عن أسامة قال: «كان لبعض بنات النبي ﷺ صبي يقضي فأرسلت إليه أن يأتيها فأرسل إن لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل الى أجل مسمى فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه وأقسمت عليه، فقام رسول ﷺ وقمت معه ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن الصامت، فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره حسبته قال كأنها شنة، فبكى رسول الله ﷺ فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال ﷺ: **إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1].

ومن هذه الرواية نستطيع أن نعرف إن البكاء إذا كان رحمة وشفقة على الميت والمحتضر فانه جائز، وهو من الرحمة التي أعطاها الله لعباده وأحب أن يظهرها العبد، وهو المقصود بقوله ﷺ: **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»**.

الرابع: ما رواه أحمد بن حنبل في سنده عن ابن عمر قال: **«إن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد جعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: ولكن حمزة لا بواكي له. قال ثم نام ﷺ**

(١) صحيح البخاري: ج ٨، ص ١٨٦، ط دار الفكر بيروت سنة ١٤٠١.

فانتبه وهن يبكين، قال فهن اليوم إذا يبكين يندبن حمزة»[1].

ونستظهر من هذه الرواية تقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه النسوة لبكائهن على أزواجهن، بل تعدى الأمر ذلك بأمره ورغبته في إن يبكي المسلمون على حمزة بن عبد المطلب عم النبي رضي الله عنه، وحسرته أن لا بواكي له، وهذا ما فهمه المسلمون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك كانوا يعقدون المجالس للبكاء على حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، قال الواقدي: «لم تبك امرأة من الأنصار على ميت ـ بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن حمزة لا بواكي له ـ إلى اليوم إلا بدأن بالبكاء على حمزة»[2].

وأيضاً نستطيع إن نكتشف جواز عقد مجالس العزاء الجماعي، وجواز إن يكون البكاء حالة تخيم على المجتمع المسلم سيما إذا كانت هذه الحالة ناشئة من اجل مصيبة تلم بالمجتمع تكون هامة وتمس كل أفراده، فموت واستشهاد أولئك الرجال في معركة أحد ما كان مسألة شخصية تهم فرداً دون آخر، بل كانت مسألة اجتماعية لان هؤلاء الشهداء إنما ضحوا بأنفسهم من أجل المسلمين ومن أجل الدين، ومن أجل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته المقدسة.

وكذلك يتضح لنا من الرواية جواز إظهار مصيبة معينة وتكرارها

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٤٠، طبعة دار صادر بيروت. ومثله في البداية والنهاية: ج ٤، ص ٥٥. والسيرة النبوية لابن هشام: ج ٣، ص ٩٥.

(٢) مجمع الزوائد: ج ٦، ص١٢٠، ط دار الكتب العلمية الطبعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

مرات عديدة، لعلة معينة كان تكون تلك المصيبة ألمت بشخص شهيد قد قتل في سبيل الله سبحانه بطريقة وحشية تثير في نفس المسلم الرحمة والشفقة كما الحال في مصيبة حمزة بن عبد المطلب عليه السلام التي آلمت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجرت من عينه الدموع، يوم نظر الى ما فعلته هند بجثته الطاهرة.

الخامس: ما روي من بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جعفر بن أبي طالب رحمه الله، فما إن وصل خبره إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذهب إلى بيت جعفر فدخل على امرأته وبيدها العجين، فقال لها: يا أسماء أين ولدك قالت: فأتيته بعبد الله ومحمد وعون، فأجلسهم جميعاً في حجره وضمهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام، لعله بلغك عن جعفر شيء؟ فغلبته صلى الله عليه وآله وسلم العبرة وقال رحم الله جعفراً، فصاحت وا ويلاه وا سيداه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تدعي بويل ولا حرب وكل ما قلت فأنت صادقة، فصاحت وا جعفراه، وسمعت صوتها فاطمة بنت رسول فجاءت وهي تصيح وا ابن عماه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه ما يملك عبرته وهو يقول على جعفر فلتبك البواكي[(١)].

ويستكشف من هذه الرواية إضافة الى جواز البكاء، جواز الصياح حزناً وتألماً على فراق الأعزاء، كما يشهد بذلك صياح امرأة جعفر، وصياح فاطمة بنت محمد عليها السلام من دون إن ينهاهما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٦٥.

ولكن بشرط أن لا يكون هذا الصباح دعوة بالويل أو دعوة لحرب بمعنى إن الاعتراض الصادر عن رسول الله ﷺ هو ليس على الصياح بما هو صياح بل على مضمون ذلك الصياح.

السادس: ما رواه غير واحد من شكوى سعد بن عبادة حين أتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدا لله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية فقال أقد قضى؟ قالوا لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله بكوا، فقال ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا ـ وأشار الى لسانه ـ أو يرحم[1].

ويعلم من هذه الرواية جواز البكاء حتى على المريض وصاحب العلة، وفي الرواية ما يفند قول من يقول بان الميت يعذب ببكاء أهله لقوله ﷺ: **«إلا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم»** وأشار إلى لسانه.

السابع: بكاؤه ﷺ على ولده إبراهيم، فعن أنس بن مالك قال: **«...فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم[2] فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك،**

---

(١) صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٠. ونيل الأوطار للشوكاني: ج ٤، ص ١٥٠. وإرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني: ج ٣، ص ٣٢١.

(٢) إبراهيم هو ابن الرسول الأعظم ﷺ من زوجته ماريه القبطية، مات في حياة ←

وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله، فقال ﷺ: يا ابن عوف إنها الرحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

الثامن: عن أبي هريرة قال: «**زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله**»[2].

التاسع: عن أبي إسحاق عن جبار الطائي قال: «كنت مع ابن عباس رضي الله عنهما في جنازة فإذا فيها صارخة، قلت: يا سبحان الله يفعل هذا في حرم رسول ﷺ، فقال دعنا منك يا جبار فإن الله هو أضحك وأبكى»[3].

العاشر: لما توفيت فاطمة بنت أسد أم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شهدها النبي ﷺ وتولى دفنها ونزع قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها فلما سوى عليها التراب سئل عن ذلك فقال ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها لا خفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إلي بعد أبي طالب. وروي أنه ﷺ صلى عليها وتمرغ في قبرها وبكى وقال جزاكِ الله من أم

النبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري: ج ٢، ص ٨٥، ط دار الفكر العربي.

(٢) صحيح مسلم: ج ٣، ص ٦٥.

(٣) تصحيفات المحدثين: ص ٤٨٣.

خيراً فلقد كنت خير أم[1].

الحادي عشر: عن عبد الله بن عكرمة قال: «عجباً لقول الناس أن عمر بن الخطاب نهى عن النوح! لقد بكى على خالد بن الوليد بمكة والمدينة نساء بني المغيرة سبعاً يشققن الجيوب ويضربن الوجوه وأطعموا العام تلك الأيام حتى مضت ما ينهاهن عمر»[2].

وفي هذه الرواية ما فيها من الإقرار الاجتماعي أولاً ومن إقرار شخص عمر بن الخطاب الذي كان في أعلى منصب من مناصب الدولة لفعل نساء بني المغيرة، ومن هذا الإقرار نستطيع استكشاف أن المرتكز في الذهن الاجتماعي تلك الأيام جواز النوح والبكاء والتأثر بمصيبة فقد الأحباب حتى وإن وصل هذا التأثر درجة بليغة تحدو بالإنسان إلى ضرب وجهه وشق جيبه حزناً وتألماً على فراق من يحب، ولو كان المرتكز في ذهن المجتمع عكس ذلك لما رضي به المجتمع المسلم ورئيس الدولة آنذاك. لأن في سكوتهم ورضاهم سكوت على الباطل والمنكر، ولوجب عليهم تبعاً لذلك رد المنكر، سيما أن فعل نساء بني المغيرة قد استمر سبعة أيام، ولو فرضنا أن عمر بن الخطاب قد غفل أو نسي أو تعمد السكوت على هذا الباطل لو كان باطلا فعلا، فمن البعيد أن يسكت باقي الصحابة، فكان لزاماً عليهم لو لم يكن ذلك الفعل جائزاً توجيه وتنبيه عمر بن الخطاب أولاً ونساء بني المغيرة ثانياً بأن هذا الفعل

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ص ٣٨. تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٥٧٤.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٥، ص ٧٣١.

هو منكر مخالف لأوامر النبي ﷺ ونواهيه.

وبذات الطريقة يستفاد من رواية فعل نساء بني المغيرة وسكوت عمر بن الخطاب والصحابة عدم البأس من إطعام الطعام في أيام العزاء والمصيبة إكراماً للميت وإظهاراً لفضله وحبه والاهتمام بأمره وأمر المعزين به.

الثاني عشر: بكاء الناس على الجويني المتوفى سنة «٤٧٨هـ.ق»، فلما مات قام الصياح عليه من كل جانب وجزع الفرق عليه جزعاً لم يعهد مثله، ولم تفتح الأبواب في البلد ووضع الناس المناديل على الرؤوس عاماً بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه من الزعماء والكبار وصلى علي ابنه أبو القاسم بعد جهد جهيد حتى حمل الى داره من شدة الزحمة، وكسر منبره في الجامع[١]، وقعد الناس للعزاء عاماً، وأكثر الشعراء المراثي فيه وكان الطلبة أربعمائة نفر يطوفون في البلد نائحين عليه مكسرين المحابر والأقلام مبالغين في الصياح والجزع[٢].

وفي يوم ممات ابن الجوزي ودفنه سنة «٥٩٧ هـ.ق»، ضاق بالناس وكان يوماً مشهوراً، وكان في تموز وأفطر خلق ورموا بأنفسهم في الماء، وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا القليل[٣].

---

(١) كسر منبره للتبرك به من قبل الناس المحبين له وأخذت ألواحه للتذكر بشخصه وأيامه.

(٢) ذيل تاريخ بغداد لأبن النجار البغدادي: ج ١، ص ٤٧.

(٣) سير أعلام البلاء للذهبي: ج ٢١، ص ٣٧٩. وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا القليل يظهر منه أن الناس قطعت كفنه للتبرك به أو مزقته من شدة التأثر عليه ←

وفي هذه الحادثة عدة من الأمور التي يمكن أن نستفيد منها بالطريقة التي طبقناها في الدليل الحادي عشر، لأن التصرف الجماعي وخصوصاً إذا كان في ضمن هذا التجمع عدد من علماء الدين أو طلبة علوم الدين ممن يكون عددهم لا يستهان به دليل على وجود ارتكاز شرعي في أذهانهم ونفوسهم بجواز صدور هذه الأفعال منهم، وإلا لو كان المرتكز عكس ذلك لوجب على علماء ذلك المجتمع أن يقفوا بوجه هكذا تصرف وأن ينهوا الناس بالكلام والفعل من طريق إبداء الامتعاض والغضب من هكذا أفعال.

فسكوت علماء ذلك المجتمع بل وتصرفهم بتلك الطريقة التي عرفت من طوافهم في البلد نائحين على الجويني باكين مكسرين محابرهم والأقلام، صائحين بل مبالغين في الصياح وإظهار الجزع دليل على أن علماء ومتشرعي ذلك العصر كان لهم دليل على جواز كل ذلك وإلا لكان قد وجد بينهم من ينهى ويمنع، ولاستحالة تواطؤ هذا العدد على الخطاء والمعصية عادة.

ومثلما اكتشفنا من سكوت هؤلاء وفعلهم على وجود دليل دلهم على جواز البكاء، كذلك نستكشف من سكوتهم وجود دليل يستندون عليه في خروج الناس جماعات وفرادى للعزاء، والجلوس له لفترات طويلة تتناسب وحال الشخص الميت ومنزلته، والخروج على شكل مواكب

→ والحزن، أو هو قد تمزق بسبب شدة الزحام وانتقاله من يد ليد، وربما كل الاحتمالات قد اجتمعت.

وجماعات للطواف في الأزقة والأحياء لإظهار المصيبة مع احتواء هذه التجمعات على الصياح والحزن والجزع والبكاء.

الثالث عشر: إقامة سبط بن الجوزي العزاء على الحسين ـ عليه السلام ـ، حين سأله الملك الناصر صاحب حلب في يوم عاشوراء أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين عليه السلام فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً ثم أنشاء يقول وهو يبكى:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه	والصور في نشر الخلائق ينفخ
لابد أن ترد القيامة فاطم	وقميصها بدم الحسين ملطخ

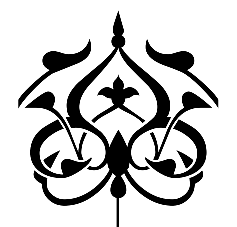
ثم نزل من المنبر وهو يبكى وصعد إلى الصالحية وهو كذلك ـ يبكي ـ رحمه الله تعالى[1]. ومن هذه الرواية يمكن لنا أن نستظهر بأن سبط بن الجوزي ما كان يصدر منه هذا الفعل لولا اعتقاده الكامل والراسخ بجواز البكاء وإقامة مجالس العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وإنشاء الشعر المذكر بمصيبته والبكاء الشديد المستمر لوقت طويل. فلو أنه لم يعتقد الجواز لما استجاب لدعوة الملك الناصر صاحب حلب ولأعتذر بشيء من الحجج على أقل التقادير.

وفيما قدمنا من شواهد كفاية لكل منصف، ليحكم بنفسه على جواز الحزن والبكاء بل ورجحانه لأنه يعبر عن الرحمة والرقة في القلب التي

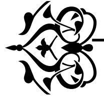
---

(١) البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٢٢٧. لأبن كثير.

منحها الله لعباده المؤمنين.



الصحابة
يبكون بل يجزعون



قد أصبح من البديهيات لدى جميع الفرق الإسلامية إن سيرة المتشرعة حجة يمكن من خلالها استكشاف الجواز والحرمة الشرعية.

ونقصد بسيرة المتشرعة هنا، تلك الأفعال والأقوال التي كان يمارسها المجتمع المسلم في عصر المعصومين عليهم السلام بدءا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومروراً بخلفائه الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام.

ولو رجعنا الى المصادر التاريخية لتبين لنا جلياً إن سيرة الصحابة الذين كانوا على عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتحت إشرافه المباشر كانت جارية على الحزن والبكاء على اعزائهم من الموتى وبالخصوص الشهداء منهم، ومن له منزلة اجتماعية أو خصوصية إضافية كما سيأتي من فعل أم سلمة عند بكائها على أحد المسلمين مات في بلد الغربة.

ومن كثرة تلك الشواهد التاريخية نستطيع أن نستدل بمجموعها على الجواز الشرعي للبكاء والحزن على الأموات والشهداء والغرباء، وسادة القوم، ومن له منزلة اجتماعية هامة، ويقوي هذا الاستدلال إن كثيراً من تلك التصرفات والأفعال قد وقعت تحت نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقرها ولم ينه

عنها. فيكون الاستدلال في مقامنا هذا مركب من شيئين:

الأول: سيرة الصحابة المتشرعة على الحزن والبكاء، هذه السيرة الممتدة جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر.

الثاني: تقرير النبي ﷺ لهذه السيرة والذي يستكشف منه الرضا القولي أو الفعلي.

وما نريد إن نوضحه هنا هو إن بعض الصحابة كان يخرج بحزنه وبكائه حدود المتعارف فيصل إلى حد الجزع والبكاء الشديد، الذي لا ينافي الشرع المقدس، بل إن بعض هؤلاء الجازعين كانوا يستأذنون رسول الله ﷺ في أن يبكوا بهذه الطريقة فيأذن لهم رسول الله ﷺ بذلك وإليك بعض الشواهد على ما بيناه:

الأول: بكاء أم سلمة وجزعها: روي عن أم سلمة بنت أبي أمية إنها قالت: «جزعت حين مات الوليد بن الوليد جزعاً لم أجزعه على ميت، فقلت لأبكين عليه بكاء تحدث به نساء الأوس والخزرج، وقلت غريب توفي في بلاد غربة، فاستأذنت رسول الله ﷺ فإذن لي بالبكاء...»[1].

الثاني: بكاء حمنة بنت جحش على زوجها: روي انه لما رجع النبي ﷺ من غزوة أحد إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي إليها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي إليها زوجها مصعب بن

(١) الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ١٣٣، الناشر دار صادر بيروت.

عمير فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: **إن زوج المرأة منها لبمكان**[1].

الثالث: عن عقبة بن عامر الجهني إن رسول الله ﷺ وسلم طلق حفصة بنت عمر فبلغ عمر بن الخطاب فوضع التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها...[2].

الرابع: روى أحمد بن حنبل في مسنده خبرا ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله ﷺ وبكاء النساء عليها، قال... فجعل عمر يضربهن بسوطه، فقال النبي ﷺ دعهن يبكين، وقعد ﷺ على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي، قال فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[3].

وأخرج أيضاً حديثاً جاء فيه: «مر على رسول الله ﷺ جنازة معها بواك فنهرهن عمر، فقال له رسول الله ﷺ دعهن فان النفس مصابة»[4].

الخامس: ما روي عن عمر بن الخطاب انه وقف ذات يوم على قبر شيخ قد مات، فصلى عليه ثم اعتنقه وبكى[5].

---

(١) البداية والنهاية: ج٤، ص٥٣، تحقيق علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي. والسيرة النبوية لابن كثير: ج٣، ص٩٣ الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ.

(٢) جمع الزوائد للهيثمي: ج٤ ص٣٣٤، ط دار الكتب العلمية السنة ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص٣٣٥، ط دار صادر بيروت.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٥) أسد الغابة: ج ٥، ص ٢٥٨، الناشر انتشارات إسماعيليان، طهران.

وكذلك بكى على النعمان بن مقرن لما جاءه خبر موته فصعد المنبر ونعاه الى الناس ووضع يده على رأسه وبكى[1].

السادس: عن عائشة قالت: «إن رسول الله ﷺ قبض وهو في حجري[2]، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي»[3].

ومعنى إلتدام النساء هو ضربهن صدورهن في النياحة[4].

السابع: عن محمد بن يوسف قال: «خرجت نائلة بنت الفرافصة ـ زوجة عثمان بن عفان ـ تلك الليلة ـ التي دفن فيها عثمان ـ وقد شقت جيبها قبلاً دبراً ومعها سراج وهي تصيح وا أمير المؤمنيناه...»[5].

فتحصل مما سبق من الشواهد إن سيرة المتشرعة من الصحابة كانت جارية على الحزن والبكاء، بل وجواز الجزع كما في خبر أم سلمة، ووضع التراب على الرأس كما في خبر عمر، والصياح كما في خبر حمنة بنت

---

(١) أسد الغابة: ج ٥، ص ٣١، الناشر انتشارات إسماعيليان، طهران.

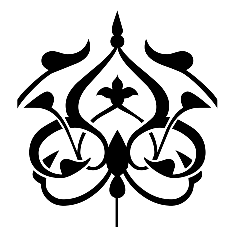
(٢) الثابت الصحيح أن النبي ـ ﷺ ـ مات في حجر علي عليه السلام ولكن ذكر هذا الحديث هنا من باب إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٢٧٤. مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٨، ص٦٣. سيرة النبي لأبن هشام: ج ٤، ص ١٠٦٩.

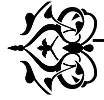
(٤) الصحاح للجواهري: ج ٥، ص ٢٠٢٩.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٧٨. تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٩، ص ٥٣.

جحش وضرب الصدر في النياحة كما في خبر عائشة وشق الثوب قبلا ودبرا والصياح كما في خبر نائلة زوجة عثمان كل ذلك مما لا يخرج الإنسان الى الجزع ورد قضاء الله سبحانه.



البكاء والحزن
في المذاهب الإسلامية



أولا: مذهب الإمامية الإثنا عشرية

بالنسبة لمذهب أهل البيت عليهم السلام كان موقفهم معروفاً وواضحاً وقد صرح علماء المذهب الإمامي الإثنى عشري بجواز البكاء على الميت عموماً وباستحبابه على سيد الشهداء عليه السلام على وجه الخصوص. وبهذا الشأن وردت النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وصيغت على وفقها فتاوى علماء المذهب الأعلام. ونحن هنا سنستعرض عدة من النصوص الشريفة في خصوص البكاء على الحسين عليه السلام ومن ثم نبيّن بعض فتاوى علمائنا الأعلام في قضية البكاء على الميت عموما ومن ثم نستعرض مجموعة من فتاوى أهل السنة من غير المذهب الإثنى عشري والتي تنص على جواز البكاء على الميت.

١ . البكاء على الحسين في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام

فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كان علي بن الحسين** عليهما السلام

يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **«إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام فإنه فيه مأجور»**[2].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«ألا صلى الله على الباكين على الحسين عليه السلام والمقيمين عزاءه. ألا وصلى الله على من بكى على الحسين رحمة وشفقة... إن الملائكة يأخذون الدموع المصبوبة لقتل الحسين ويلقونها إلى الخزان في الجنان، فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد عذوبتها وطيبها ألف ضعف»**[3].

وتبعاً لهذه الروايات وغيرها مما لم نذكره اختصارا أفتى علماء المذهب

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠١، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المشرفة.

(٢) المصدر السابق: ص٥٠٧.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ج ٧، ص ٢١١، للشيخ علي النمازي.

الإثني عشري بجواز البكاء على الحسين عليه السلام وأهل بيته وباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام على وجه الخصوص.

٢. البكاء على الميت في فتاوى علماء الدين

فقد جاء في المبسوط للشيخ الطوسي رحمه الله: «البكاء ليس به بأس، وأما اللطم والخدش وجز الشعر والنوح فإنه كله باطل محرم إجماعاً...»[١] هذا القول في عموم موتى المسلمين باستثناء الحسين عليه السلام ومصيبته.

وعن ابن إدريس الحلي مثله[٢]، وعن المحقق الحلي في المعتبر قال: **«عن أبي عبد الله ـ الصادق ـ عليه السلام قال: إن إبراهيم خليل الرحمن سأل ربه أن يرزقه ابنة تبكيه بعد موته. ولان في البكاء تخفيفاً من الحزن وتسكينا من اللوعة والأصل جوازه... ويجوز النياحة على الميت بتعداد فضائله من غير تخط إلى كذب ولا تظلم ولا تسخط... لنا ـ أي حجتنا على جواز ذلك ـ ما روي أن فاطمة عليها السلام كانت تنوح على النبي صلى الله عليه وآله وسلم... والجواب عما ذكروه من الحديث[٣] أنه يمكن أن يكون أشارة إلى النوح الذي يتضمن جزعاً وسخطاً، أو قولاً باطلاً، لكن ليس مطلق النوح كذلك، وإنما نبيح منه ما**

(١) المبسوط للشيخ الطوسي، ج ١، ص ١٨٩.

(٢) السرائر لابن إدريس الحلي، ج١، ص ١٧٣.

(٣) أي الجواب عن اعتراض بعض فقهاء المذاهب الأخرى من النهي عن البكاء تمسكا ببعض الأحاديث.

يتضمن ذكر خصائصه ـ خصائص الميت ـ وفضائله وفواضله وحكاية التألم بفقده، وهذا لا يتضمن ما ذكروه...»[1].

وممن قال بجواز البكاء وعدم كراهته سواء قبل خروج الروح أو بعدها، العلامة الحلي رحمه الله تعالى[2]، ومن الفقهاء المتأخرين نذكر على سبيل المثال الشيخ لطف الله الصافي حيث قال: «يجوز البكاء على الميت بل قد يستحب عند اشتداد الحزن والوجد، ولكن لا يقول ما يسخط الرب، وكذا يجوز النوح عليه بالنظم والنثر إذا لم يشتمل على الباطل من الكذب وسائر المحرمات، بل ولم يشتمل على الويل والثبور على الأحوط»[3]، ومثله ما في هداية العباد للسيد الكلبايكاني[4].

وقد نص فقهاؤنا قديماً وحديثاً على وجود خصوصية زائدة لمصائب أهل البيت عليهم السلام ومن ضمنها مصيبة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام حيث أفتى جمع كبير منهم برجحان البكاء عليهم. وممن أفتى بذلك الشيخ جواد التبريزي على سبيل المثال بما نصه: «البكاء الشديد

(١) المعتبر للمحقق الحلي، ج ١، ص ٣٤٤ و ص ٣٤٥.

(٢) منتهى المطلب للعلامة الحلي: ج ١، ص ٤٦٦. تذكرة الفقهاء له أيضاً: ج٢، ص ١١٨.

(٣) هداية العباد للشيخ لطف الله الصافي: ج ١، ص ٧٥. المسألة ٤٣٥.

(٤) ج ١، ص ٨٩، المسألة ٤٣٥.

والإبكاء المثير من الأمور المستحبة التي دلت على رجحانها النصوص الكثيرة... كل الجزع والبكاء مكروه ما خلا الجزع والبكاء لقتل الحسين والله العالم»[١].

ثانيا: البكاء على الأموات في المذهب الشافعي

قال الشافعي في كتاب الأم: «وأكره[٢] النياحة على الميت بعد موته... وأرخص في البكاء بلا أن يتأثر ولا أن يعلن إلا خيراً ولا يدعون بحرب قبل الموت فإذا مات أمسكن...»[٣].

وذهب إسماعيل المزني الى ما ذهب إليه الشافعي من جواز البكاء قبل خروج الروح أما بعدها فلا جواز[٤].

وقال عبد الكريم الرافعي في فتح العزيز: «الثالثة: البكاء على الميت جائز قبل زهوق الروح وبعده وقبل الزهوق أولى... والندب حرام وهو أن يعدد شمائل الميت فيقال وا كهفاه، وا جبلاه ونحو ذلك، وكذا النياحة والجزع بضرب الخد وشق الثوب ونشر الشعر كل ذلك حرام»[٥].

وقال محيي الدين النووي: «البكاء على الميت جائز قبل الموت وبعده

(١) صراط النجاة للميرزا جواد التبريزي: ج ٣، ص ٤٤٣.

(٢) لفظ أكره لا يدل على الحرمة بل يدل على الجواز لكن جواز على كراهة.

(٣) كتاب الأم للشافعي: ج ١، ص ٣١٨.

(٤) مختصر المزني: ص ٣٩.

(٥) فتح العزيز: ج ٥، ص ٢٥٤.

وقبله أولى والندب حرام... والنياحة حرام والجزع بضرب الخد وشق الثوب ونشر الشعر حرام، وإذا فعل أهل البيت شيئاً من ذلك لا يعذب الميت، والحديث فيه[1] متأول على من أوصى بالنياحة عليه»[2].

وقال محمد بن الشربيني: «صرح القاضي حسين فقال يستحب ـ أي البكاء ـ إظهاراً لكراهة فراقه ـ فراق الميت ـ وعدم الرغبة في ماله... ويجوز بعد الموت أيضاً ولو بعد الدفن، لأنه ﷺ بكى على ولده إبراهيم قبل موته... وبكى على قبر بنت له وزار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله... قال السبكي: وينبغي أن يقال إذا كان للرقة على الميت وما يخشى عليه من عقاب الله تعالى وأهوال يوم القيامة فلا يكره ولا يكون خلاف الأولى، وإن كان ـ البكاء ـ للجزع وعدم التسليم للقضاء فيكره أو يحرم. قال الزركشي: هذا كله في البكاء بصوت أما مجرد دمع العين فلا منع منه»[3].

ثالثا: البكاء على الميت في المذهب المالكي

قال جلال الدين السيوطي: «أن الميت ليعذب ببكاء الحي قال النووي

(١) الحديث في أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) روضة الطالبين محي الدين النووي: ج ١، ص ٦٦٥.

(٣) مغني المحتاج لمحمد الشربيني: ج١ ، ص ٣٥٥ و ٣٥٦.

فأوله الجمهور على من أوصى أن يبكى عليه ويناح بعد موته... وقالت طائفة أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم وإليه ذهب ابن جرير ورجحه القاضي عياض وقالت عائشة معناه أن الكافر يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم قال والصحيح قول الجمهور وأجمعوا على أن المراد بالبكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين»[(١)].

وقال الحطاب الرعيني: «البكاء جائز من غير نياحة وندب والجزع وضرب الخد وشق الثوب حرام»[(٢)].

وقال الدسوقي: «والحاصل أن البكاء يجوز عند الموت وبعده بقيدين، عدم رفع الصوت وعدم قول القبيح، وأما معهما أو مع أحدهما فهو حرام كما يحرم اللطم على الصواب، ومحل جواز البكاء بالقيدين المذكورين إن لم يجتمعوا له وإلا كره»[(٣)].

رابعا: جواز البكاء في المذهب الحنفي

قال أبو بكر الكاشاني: «ويكره النوح والصياح في الجنازة ومنزل الميت... فأما البكاء فلا بأس به لما روي عن النبي ﷺ أنه بكى على ابنه

(١) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي: ص ٢٤٣.

(٢) مواهب الجليل للحطاب الرعيني: ج ٣، ص ٤٧.

(٣) حاشية الدسوقي: ج ١، ص ٤٢٢.

إبراهيم...»[1].

وقد عقد الماrديني في الجوهر النقي باباً أسماه «باب الرخصة في البكاء بلا ندب ولا نياحة» فراجع[2].

وقال ابن نجيم المصري: «فأما البكاء فلا بأس به»[3].

خامسا: جواز البكاء في المذهب الحنبلي

قال عبد الله بن قدامة في المغني: «والبكاء غير مكروه إذا لم يكن معه ندب ولا نياحة أما البكاء بمجرده فلا يكره في حال... وأما الندب فهو تعداد محاسن الميت وما يلقون بفقده... والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب وضرب الخدود والدعاء بالويل والثبور، فقال بعض أصحابنا هو مكروه ونقل حرب عن أحمد كلاماً فيه احتمال إباحة النوح والندب اختاره الخلال وصاحبه واثلة بن الاسقع وأبو وائل كانا يستمعان النوح ويبكيان، وقال أحمد: إذا ذكرت المرأة مثل ما حكي عن فاطمة ـ بنت النبي الأعظم عليها السلام ـ في مثل الدعاء لا يكون مثل النوح يعني لا بأس به، وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: يا أبتاه، من ربه ما أدناه يا أبتاه جبرائيل نعاه، يا أبتاه أجاب ربا دعاه...»[4].

---

(١) بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ج ١، ص ٣١٠.

(٢) الجوهر النقي: ج٤، ص ٦٨.

(٣) البحر الرائق ابن نجيم المصري: ج ٢، ص ٣٣٧.

(٤) المغني لعبد الله بن قدامة: ج ٢، ص ٤١٠ و ٤١١.

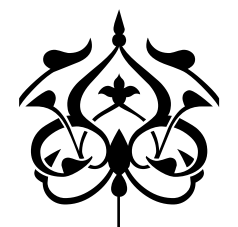
وقال عبد الرحمن بن قدامة: «ويجوز البكاء على الميت وإن يجعل المصاب على رأسه ثواباً ليعرف به ليعزى، والبكاء بمفرده لا يكره في حال...»[1].

وقال البهوتي: «ولا يكره البكاء... على الميت قبل الموت وبعده لكثرة الأخبار بذلك... وذكر الشيخ تقي الدين في التحفة العراقية: البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه...»[2].

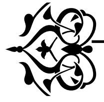
---

(١) الشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة: ج ٢، ص ٤٢٩.

(٢) كشف القناع للبهوتي: ج ٢، ص ١٨٨.



رد ادعاء تحريم البكاء
على موتى المسلمين



لعلم الحديث والرواية منافع جمة لا تحصى شأنه شأن كثير من العلوم، فالرواة هم من حفظ لنا أخبار وأحاديث السابقين من خلال نقل أقوالهم وأفعالهم، ولولا هؤلاء الرواة لما عرفنا شيئاً عن السنة المحمدية والرسالة الإسلامية، فمن خلالهم استطعنا الإحاطة بسنة النبي ﷺ ورسالته وأقوال الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وكلما ابتعدت الأمة عن عصر النص ازدادت أهمية الرواة والرواية، إلا أن العوامل التي منعت كتابة الرواية وانتشارها حالت دون وصول كثير مما تحتاجه الأمة الإسلامية في حياتها الدينية والدنيوية، ومن أهم هذه العوامل العامل السياسي الذي عصف بالكم الهائل من روايات النبي ﷺ التي لو وصلت إلينا كما صدرت عن الرسول الأكرم ﷺ لبان الحق وانتشرت الحقيقة.

فعظمت الحاجة إلى الراوي والرواية يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة، فكلما ابتعدنا عن عصر النبوة كلما احتجنا لمعرفة المزيد من الأخبار والروايات التي من خلالها يستطيع الناس إيجاد الحلول المناسبة والأجوبة

الشافية المتناسبة مع أقوال النبي ﷺ وأفعاله.

ولكن الطريق للوصول إلى الرواية الصحيحة والتحليل النزيه والموقف الحقيقي لم يكن متاحاً ولم يكن سهلاً ، لأن الأهواء والأطماع وحب الدنيا والكذب وشراء ضمائر كثير من الرواة بالمال والجاه حال في كثير من الأحيان دون الوصول الى القول السديد الصادر عن الرسول الأعظم ﷺ.

فشوهت الحقيقة وكثر الكذب على رسول الله ﷺ بعد وفاته رغم تحذيراته ﷺ ونهيه عن ممارسة هذه الرذيلة كما في قوله ﷺ : **«من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار»**[1] ، فكانت هذه الآفة من أخطر الآفات التي ساعدت على انحراف الأمة عن مسارها المستقيم الذي رسمه رسول الله ﷺ.

والآفة الأخرى التي ساهمت في تشويه الحقيقة أيضاً هي سقوط الكثير من الرواة في وهم الإحاطة بالحديث الشريف حيث يسمع الراوي نصف الحديث الشريف دون أن يسمعه كله كما صدر عن النبي ﷺ ، فنراه تارة يسمع مقدمة الحديث ولا يسمع ذيله فيتوهم أنه سمع الحديث بأكمله ، فينقله للناس كما سمعه ناقصاً لا كما قاله رسول الله ﷺ.

وهناك آفة ثالثة وهي استماع الحديث المنسوخ دون الحديث الناسخ

---

(١) مسند احمد بن حنبل : ج ١ ، ص ٧٨، وج ٥ ص ٢٩٢. وسنن الدارمي : ج ١ ، ص ٧٦. وشرح مسلم للنووي : ج ١ ، ص ٥٦.

كما حصل في كثير من الأحاديث حيث كان النبي ﷺ يأمر بشيء في حديث معين ثم ينهى عنه في حديث أخر والراوي لا يعلم بذلك النهي أو بالعكس فيقع الراوي في لبس وخلط خطيرين يؤديان إلى ضياع النص الذي يجب أن يتعبد به.

فإذا أصيب الحديث أو الرواية بإحدى هذه الآفات الثلاث خرجت الحقيقة مشوهة عليلة، بل قد يصل الأمر إلى ضياعها وطمسها في الباطل فتقع الأمة في الحيرة والضلال. وهذا ما حصل بعينه للروايات التي وردت في البكاء على الميت حيث وردت روايات تنهى عن البكاء علي الميت وتشير إلى عذابه بفعل غيره دون ذنب اقترفه سوى أنه ميت بكى لفقده الباكون، وحزن لبعده الأحبة.

محاكمة علمية

لقد وردت بعض الروايات التي تنهى عن البكاء على الميت وهي لا تخرج عن أحد احتمالين، أو أحد حالتين من الحالات الثلاثة التي بيناها سابقاً.

الاحتمال الأول

إنها روايات مكذوبة على النبي ﷺ ويستدل على كذبها بما يلي:

أولا: إنها مخالفة لظاهر الكتاب الكريم والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من خالف كتاب الله عز وجل ونهى عما أحله أو عارض ما أجازه حقيق بأن لا يقبل منه نهي ولا معارضة، ولا يقبل منه قول ولا حجة، كما في الحديث الوارد عن النبي ﷺ: **«فانظروا ما وطن كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»**[1].

وسنستعرض أولا الروايات التي صرحت بعذاب الميت بسبب بكاء أهله وأحبته:

الرواية الأولى: عن عبد الله بن عمر قال: «...وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه...»[2].

الرواية الثانية: عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «... الميت يعذب في قبره بما نيح عليه»[3].

الرواية الثالثة: عن عمر قال: «من يبك عليه يعذب»[4].

الرواية الرابعة: عن عمر بن الخطاب قال: «... إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله...»[5].

---

(١) المصنف للصنعاني: ج ٦، ص ١١٢، وج ١٠، ص ٣١٣.

(٢) البخاري: ج ٢، ص ٨٥. وصحيح مسلم: ج ٣، ص ٤١.

(٣) صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤١.

(٤) كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ٦٨٨.

(٥) صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٣.

وأما وجه مخالفة هذه النصوص لآيات الله في كتابه العزيز هي ان القران صرح في مواضع عديدة وآيات كثيرة بأن الإنسان مسؤول عن أفعال نفسه لا عن أفعال غيره، فهو يعذب ويثاب على ما اقترفته يداه وباشره بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسيره: «ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وإنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال «وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» وقوله تعالى «فلا يخاف ظلماً ولا هضما» قال علماء التفسير أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا تهضم بأن ينقص من حسناته...»[2].

وقال الشوكاني في فتح القدير: «قوله ولا تكسب كل نفس إلا عليها أي لا يؤاخذ مما أتت من الذنب وارتكبت من المعصية سواها فكل كسبها للشر عليها لا يتعداها إلى غيرها»[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٢٠٧.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ج ٢، ص ١٨٦.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله «ولا تزر وازرة وزر أخرى» قال لا يحمل الله على عبد ذنب غيره ولا يؤاخذه بعمله[1].

وبالجملة فإن روايات تحريم البكاء معارضة ومخالفة لآيات أخرى عديدة من القرآن الكريم لم نذكرها طلباً للاختصار، ويؤيد كذب روايات النهي عن البكاء ما جاء عن ابن عباس حينما قيل له إن فلاناً نهى عن المتعة فقال: «انظروا في كتاب الله فإن وجدتموها فيه فقد كذب على الله وعلى رسوله وإن لم تجدوها فقد صدق»[2]، ونحن لو طبقنا هذه القاعدة وفتشنا عن قول منكري البكاء وأن الميت يعذب ببكاء من يبكي عليه من أهله لوجدناها مفقودة من الكتاب العزيز، بل لوجدنا أن المذكور في القرآن على خلاف ما أدعوه، فلا نتحرج حينئذٍ أن نقول بكذب هذه الأخبار على الله وعلى رسوله ﷺ، ولا ذنب لنا في تكذيبها فنحن نتبع سنة صحابي جليل عرف فضله جميع المسلمين وهو ابن عباس رضي الله تعالى عنه.

ثانياً: ومما يؤكد لنا كذب هذه الروايات هو أنها مخالفة لسنن الأنبياء العظام فقد أوضحنا في هذا الكتاب أن الحزن والبكاء كان شعار الأنبياء العظام، وسنة من سننهم، وقد بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل الذي قتل

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج ٣، ص ٦٧.

(٢) المغني لعبد الله بن قدامة: ج ٣، ص ٢٣٨. والشرح الكبير لعبد الله بن قدامة: ج٣، ص ٢٣٨.

ظلماً بيد أخيه قابيل، فمن غير المعقول أو المقبول أن يقوم هؤلاء العظماء بفعل شيء يجلب عليهم الضرر في دينهم ويفعلوا ما يجلب السوء والعذاب لأعزائهم من الأموات.

فالبكاء والحزن سنة من سنن الأنبياء عليهم السلام فلا ينبغي لعاقل أن يزهد في سننهم ألا أن يكون سفيها نفسه ناقصا عقله بشهادة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ...﴾[2]. فنحن مأمورون بأن نقتدي بسننهم وبهداهم عليهم السلام ومن سننهم البكاء على الأموات كما بكى ادم على ابنه أربعين سنة كما تقدم سابقا، ومأمورون كذلك أن نعتبر سننهم وأقوالهم وأفعالهم بمنزلة سنة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنها سنة واحده كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

ثالثاً: إن هذه الروايات المانعة عن البكاء معارضة لسنة النبي الأكرم ﷺ القطعية الصدور والتي تواترت عنه لفظاً أو معنى، فقد تبين لك مما نقلناه فيما سبق بكاء الرسول الأعظم ﷺ على أصحابه وبعض أولاده وبناته وعلى عمه حمزة وعلى ابن عمه جعفر بن أبي طالب وعلى إبراهيم ولده وفلذة كبده وما لم نذكره أكثر وأكثر، فلو صح حديث النهي عن البكاء وأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، لكان النبي ﷺ سبباً وأداة لتعذيب الصالحين من أهل بيته والعياذ بالله ولكان حمزة عمه وإبراهيم ابنه وجعفر ابن عمه يتقلبون في العذاب يصب عليهم صباً والنبي ﷺ يبكي غير مكترث لما يصيبهم، وغير حافل بالعذاب الذي يتعرض إليه هؤلاء بسبب بكائه، نعوذ بالله من الخطل ومقالة السوء.

ويحق لنا أن نتسأل هل أن النبي الأعظم ﷺ كان يعلم أن بكاءه يسبب لهؤلاء الأطهار الذين بكى عليهم الألم والعذاب أم لا؟.

فإن قلتم نعم كان يعلم بأنهم يعذبون بسبب بكائه عليهم وهو مع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

ذلك مستمر بالبكاء، قلنا أن هذا الأمر قبيح للغاية ويستحيل أن يصدر من شخص الرسول الأعظم ﷺ وهو عين الرحمة والشفقة، إضافة إلى قبح البكاء الذي يكون سبباً في عذاب الآخرين فهو فعل بعيد عن الأخلاق السامية بل هو غلظة في القلب وقسوة في الطبع، وهذا منفي عنه ﷺ في قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، وهو أيضا مخالف لما عليه ﷺ من خلق عظيم شهد به خالقه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

وإن قلتم لا فالنبي ﷺ لا يعلم بأن أولئك الموتى يعذبون ببكائه قلنا الحمد لله فبهذا يثبت أن تلك الأحاديث الواردة في النهي عن البكاء وأن الميت يعذب ببكاء أهله لا صلة لها بالنبي الأعظم ﷺ ولا علم له بها بل هي مما كذب عليه ولفقت على لسانه، لإمتناع أن يقول النبي شيئاً ويخالفه في الواقع ولا يعلمه في مقام العمل والتطبيق.

رابعاً: ومما يؤكد اختلاق وكذب روايات تحريم البكاء وعدم واقعيتها وارتباطها بالرسول الأعظم ﷺ بل هي انعكاس لنفسية الراوي والمحدث، أطرها الراوي وزخرفها بصورة ورتشها برتوش شرعية ليضفي عليها صبغة إسلامية إلزامية عن طريق نسبتها لشخص النبي الأعظم ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

وهذا الكلام ليس من القول الجزاف لما له من دليل نستعرضه فيما يلي :

ولكن لابد أولاً أن نعرف من هو المصدر الأساس لروايات تحريم البكاء على موتى المؤمنين؟ والجواب هو انه قد اعترف غير واحد بان مصدر تلك الروايات هو عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر كما عن النووي في شرحه لصحيح مسلم حيث قال : «أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه وفي رواية ببعض بكاء أهله عليه وفي رواية ببكاء الحي وفي رواية يعذب في قبره بما نيح عليه وفي رواية من يبك عليه يعذب وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله...»[1].

ومن المقطوع به أن عبد الله قد أخذ حديثه عن أبيه عمر بن الخطاب فيصبح المصدر الوحيد الناقل لروايات البكاء وأن الميت يعذب ببكاء أهله هو عمر بن الخطاب.

وإذا عرفنا مصدر تلك الروايات لابد أن نرجع قليلاً لنرى ما هو المزاج الشخصي لعمر بن الخطاب تجاه قضية البكاء لأن في معرفتنا هذه نعرف سبب خلق هذه الروايات فالذي يظهر من الروايات الأتيه أن البكاء لا ينسجم مع ذوق عمر بل يسبب له إزعاجا نفسيا كما روي في مسند أحمد بن حنبل : «...فلما ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ :

---

(١) شرح مسلم : ج ٦ ، ص ٢٢٨. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لاين الجوزي الحنبلي : ص ٣٤ ، تحقيق حسن السقاف.

الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون فبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه فأخذ رسول الله بيده وقال مهلاً يا عمر. ثم قال ﷺ: ابكين، وإياكن ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان»[1].

وعن أبي هريرة قال: «مر على رسول الله ﷺ جنازة معها بواك فنهرهن عمر فقال له رسول الله ﷺ: دعهن فإن النفس مصابة والعين دامعة والعهد حديث»[2].

وعن أبي هريرة قال: «مات ميت من آل رسول الله ﷺ فأجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن ويطردهن، فقال رسول الله دعهن يا عمر فأن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب»[3].

ومما يدل على أن منع عمر بن الخطاب كان منعاً مزاجياً وليس منعاً شرعياً ما رواه عبد الله بن عكرمة بقوله: «عجباً لقول الناس أن عمر بن الخطاب نهى عن النوح، لقد بكى على خالد بن الوليد بمكة والمدينة نساء بني المغيرة سبعاً يشققن الجيوب ويضربن الوجوه وأطعموا الطعام تلك

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٢٣٧. المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٩٠.

(٢) مسند احمد، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) سنن النسائي، ج ٤، ص ١٩.

الأيام حتى مضت ما ينهاهن عمر»[1].

فالتناقض هنا واضح فتارة يضرب بالسوط ويرمي بالحجر ويحثو بالتراب كل من يبكي[2]، وتارة أخرى يبكي هو على خالد ويترك النساء يبكين سبعة أيام ويشققن الثياب ويضربن الوجوه ويطعمون الطعام، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن عمر بن الخطاب لم يكن يتحرك من وحي النصوص الشرعية بل من وحي المزاج الشخصي فالوقت الذي يصفو فيه مزاج الخليفة يسمح بالبكاء والوقت الذي يكون فيه عكر المزاج يعاقب على البكاء ويضرب.

الاحتمال الثاني

لو تغاضينا عن كل ما سبق ولم نقل أن روايات النهي عن البكاء هي من قسم المكذوب على النبي الأعظم ﷺ فلابد أن تكون من ضمن القسم الثاني الذي بيناه سابقاً، وهو قسم التوهم في نقل الرواية وحفظها وسماعها، وعليه يصبح عمر بن الخطاب سمع من رسول الله ﷺ جزءاً من الحديث دون التكملة فرواه على نقصه وبنى عليه بنيانه ظناً منه أنه يتبع أثر الرسول الأعظم ويسير بسنته.

وهذا الرأي له أيضاً مؤيدات مقبولة ومن هذه المؤيدات رواية

(١) كنز العمال، ج ١٥، ص ٧٣١، حديث رقم ٤٢٩٠٨.

(٢) صحيح البخاري، ج٢، ص ٨٥.

عائشة بنت أبي بكر حينما ذكر لها نهي عمر عن البكاء على الميت وأنه يعذب ببكاء أهله عليه فقالت: «أما والله ما تحدثون هذا الحديث عن كاذبين مكذبين ولكن السمع يخطئ، وإن لكم في القرآن لما يشفيكم ألا تزر وازرة وزر أخرى ولكن رسول الله ﷺ قال: **إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه**»[1].

وقد ذكر لعائشة أن عبد الله بن عمر يقول أن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة: «يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطاء إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال: **أنهم ليبكون عليها وأنها لتعذب في قبرها**»[2].

وفي رواية ثالثة عنها أيضاً: «يرحمه الله لم يكذب ولكنه وهم، إنما قال رسول الله ﷺ لرجل مات يهودياً إن الميت ليعذب وإن أهله ليبكون عليه»[3].

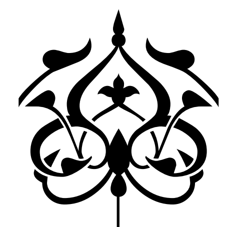
وعلى أي حال فإذا كان عمر وابنه عبد الله قد نسيا أو توهما أو كذبا وافتعلا الحديث فإنه لا يمكن الاستدلال بهذه الأحاديث على النهى عن البكاء فهي أما مردودة وأما مؤولة فيها احتمالات شتى وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال.

---

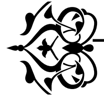
(١) سنن النسائي: ج ٤، ص ١٩.

(٢) صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٥.

(٣) سنن الترمذي: ج ٢، ص ٢٣٦.



جواز البكاء والجزع
على الحسين عليه السلام



من بعد استعرضنا تاريخ الحزن والبكاء سواء في عصور الأنبياء عليهم السلام أو في عصر نبوة الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، يصبح ليس بمستهجن ولا بمستغرب جواز الحزن لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام وإجراء الدمع الغزير على مصيبته التي أبكت السماء دماً ، واقرحت عين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي.

وبالرغم من كفاية ما أوردناه سابقاً كدليل على جواز البكاء والحزن بشكل عام والذي يمكن إن يستفاد منه في الاستدلال على جواز الحزن والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام ، إلا إننا وإتماماً للفائدة وزيادة للحجة على المنكرين سنورد بعض الأدلة التي تصحح هذا الفعل الشريف الواقع من قبل أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام .

الدليل الأول: إن الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام سنة قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعلها ، فيكون مشمولاً حينئذ بتلك السنن التي نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن

تركها بقوله: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1]. وهو أيضاً مشمول بقول أبي بكر: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به فاني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[2]... »[3]. والشيعة أيضاً تخشى إن تركت البكاء على الحسين والحزن لأجله أن تزيغ وتميل عن الحق لأنهم حينئذ سيتركون سنة نبوية شريفة.

ومما يدل على إن الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام سنة نبوية مستحبة ما روته كل الفرق والمذاهب الإسلامية، و من تلك الروايات ما عن أم سلمة إنها قالت: «كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي فنزل جبرائيل فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ووضعه على صدره...»[4].

وفي رواية ثانية إنها رحمها الله سمعت نشيج رسول الله وهو يبكي، فاطلعت عليه فإذا الحسين في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي[5].

وفي رواية ثالثة عنها رضي الله عنها قالت: «إن الحسين عليه السلام دخل

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج٣ ص٢١٠ الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٢) أن أزيغ أي أن أميل وأعدل عن الحق.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤، ص ٤٢. وصحيح مسلم: ج ٥، ص ١٥٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ١٠٨، تحقيق حمدي عبد المجيد السلف الطبعة الثانية، الناشر مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط دار إحياء التراث العربي.

(٥) نفس المصدر السابق: ج٣، ص ١٠٨. ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص٢٥٨.

على رسول الله ففزع، فقالت أم سلمة مالك يا رسول الله قال: **إن جبرائيل أخبرني إن ابني هذا يقتل وانه اشتد غضب الله على من يقتله»**[1].

ولو لا خوف الإطالة لاستعرضنا للقارئ الكريم عشرات المصادر التي تتظافر بمجموعها على إن أول الباكين على الحسين في الإسلام هو النبي الأعظم ﷺ وان أول مجلس عقد للبكاء هو في بيت النبي ﷺ. وأول من خطب خطبة في جماعة من الناس هو جبرائيل الذي كان يروي قصة الفاجعة والنبي يبكي فياله من خطيب ويالها من خطبة وياله من حضور مقدس فتأمل.

الدليل الثاني: إن البكاء والحزن والجزع على مصيبة سيد الشهداء هو من قبيل إظهار الرحمة لمصابه عليه السلام، فالنبي الأكرم ﷺ كما عرفنا فيما مر سابقا بكى على بنت موؤدة ألقيت في البئر في زمن الجاهلية حتى جرى دمع عينيه على لحيته المقدسة، فكيف به يا ترى وهو يرى موؤدة آل محمد[2] قد فعل به ما فعل، من قطع رأسه وخنصره، وسلب ثيابه ورفع رأسه على الرمح، وسبي حريمه وقتل أهل بيته بتلك الصورة المريعة وهو مع ماله من قدر ومنزلة وعلو شأن.

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٢، ص١٢٧. تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٩٣.

(٢) روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: «نزلت في الحسين عليه السلام»، راجع كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٣٤.

فالشيعي من فرط حبه للحسين عليه السلام عليه صار لما يسمع مصيبته لا يمسك دموع عينيه رحمة وشفقة لمصابه، وحزناً على ما ناله من أعدائه، ولهم في رقة القلب هذه وفي الرحمة والشفقة تلك أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الدليل الثالث: قد عرفنا فيما مر إن من مجوزات البكاء والحزن والجزع الذي لا يخرج الإنسان الباكي عن الحق هو كون ذلك الميت له خصوصية معينة كأن يكون شهيداً أو غريباً أو مقتولاً بطريقة غير اعتيادية.

والحسين عليه السلام قد اجتمعت فيه كل هذه الأمور فهو شهيد بل سيد الشهداء وهو غريب بل غريب الغرباء، وهو المقتول بطريقة أبشع بكثير من تلك التي قتل فيها حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، فحمزة لم يقطع رأسه ولا رفع على الرماح ولا طافوا بعياله ونسائه سبايا في البلدان ولا قتل أولاده وأهل بيته عطاشا واحدا تلو الأخر، والحسين عليه السلام قد فعل به كل ذلك.

فمثلما حق لأم سلمة أن تبكي وتجزع على الوليد بن الوليد لأنه مات بأرض الغربة، حق لنا أن نبكي ونجزع أكثر وأشد على الإمام الحسين عليه السلام، لأن غربته فاقت كل غربة، وحيرته اكبر من كل حيرة، ووحدته اشد من كل وحدة.

الدليل الرابع: إن الكون كله قد تفاعل مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فقد وردت من مصادر العامة والخاصة إن السماء بكت دماً يوم

استشهد الحسين عليه السلام، وان السماء اسودت وظهرت الكواكب الى غير ذلك من الآيات الكونية التي تحكي لنا الانسجام والتفاعل الكوني بمصيبة الحسين عليه السلام.

ومن تلك الأحداث الكونية التي احتفظ بها التاريخ ما رواه ابن عساكر في ترجمته للإمام الحسين سلام الله عليه من تاريخه نقلاً عن خلف بن خليفة عن أبيه قال: «لما قتل الحسين اسودت السماء وظهرت الكواكب نهاراً حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الأحمر»[1].

وعن عيسى بن الحارث الكندي قال: «لما قتل الحسين مكثنا سبعة أيام إذا صلينا العصر نظرنا الى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، ونظرنا الى الكواكب يضرب بعضها بعضاً»[2].

وعن ابن سيرين قال: «لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي»[3].

فإذا كانت السماء تبكي لفقد الحسين عليه السلام ولم يمنعها خالقها من ذلك

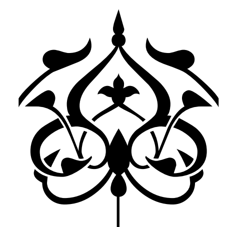
---

(١) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص ٣٥٤، ومثله ما في التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ٣٠٥.

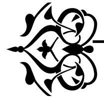
(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ١١٤. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ١٤، ص ٢٢٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٥. شرح الأخبار للمغربي: ج ٣، ص٥٤٦.

وإذا كانت الكواكب يضرب بعضها بعضاً لما جرى على سيد الشهداء وأهل بيته، وهي التي لم يخلق لها الله سبحانه إحساساً ولا شعوراً ولكنها مع ذلك تفاعلت مع الفاجعة، أفلا يحق لنا التفاعل والبكاء مع سيد الشهداء ونحن بشر قد خلقنا من عاطفة وأحاسيس؟.



متى منع البكاء
على الحسين ولماذا



لم يكن الترويج للمنع من البكاء والحزن مصادفة من غير ميعاد، بل كان لهذا المنع جذور تاريخية وسياسية وعصبية، ولعل التثقيف على حرمة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام له جذر تاريخي يبدأ منذ الأيام الأولى لرحيل النبي الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله لأن أهل البيت عليهم السلام قد اتخذوا هذا الأسلوب ـ إعلان الحزن والبكاء ـ منهجاً للمواجهة مع الباطل وأهله، وقد نجحوا فيه أيما نجاح، فقد بكت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أياماً وليالي بعد موت أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حزناً على أبيها واحتجاجا على غصب حقوق أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى السياسة الجائرة التي اتبعت ضدهم، وبالفعل كاد هذا البكاء أن يقوض أركان تلك الدولة الفلتة، لولا إنهم عجلوا بقمع هذا الصوت الطاهر، وإخماد تلك الحسرات والدموع التي كانت تذرفها عيني الزهراء عليها السلام.

فكل آهة من آهات الزهراء البتول عليها السلام كانت تذكر الأمة بعظيم ما اقترفته تجاه هؤلاء الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، وكل دمعة

كانت تسكبهما مقلتي فاطمة عليها السلام أو خدي الحسن والحسين وعلي عليهم السلام كانت بمثابة أسفين يدقه أهل البيت عليهم السلام ، لينفجر ويطيح بأركان تلك الدولة الفلتة.

من هنا ولهذه الأسباب بدأ التثقيف وبشكل واسع ومنهجي ومنظم على منع كل أنواع الاحتجاج أو الاحتجاجات التي يدخل البكاء والحزن عامل من عواملها ، وقد لعب بيت مال المسلمين دوراً هاماً في هذه القضية ، لأنه كان تحت أيدي المعارضين للبكاء ، فصارت الروايات التي تمنع ظاهرة البكاء والحزن تكثر يوماً بعد يوم ، وصارت الأحاديث تبتدع تارة لأجل عيون الخليفة وأخرى لأجل بياض الدراهم والدنانير ، فوضعت الأحاديث وزورت الحقائق وخرج على المسلمين جيل جديد من الروايات التي تمنع البكاء بكل أقسامه وأنواعه ، واتخذت شتى الأعذار والطرق لمنعه ، فتارة منع لأنه يؤذي الميت وأخرى منع لأنه يؤذي الخليفة ويعكر صفو مزاجه.

والعجيب في الأمر إن البكاء قد منع بكل أصنافه وأنواعه وبالخصوص البكاء السياسي الذي لا يرتاح الى سماعه الخليفة وأذنابه ، وفي المقابل نراهم يبكون وينتحبون على أمور تضحك الثكلى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : إن عمر بن الخطاب أتى الى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ، فقالت : ألا أنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي ثم يجلس مستقبل القبلة ورأسه على ركبتيه وتنفس الصعداء فيشم

في البيت روائح كبد مشوي، فبكى عمر وقال: أنى لابن الخطاب بكبد مشوي[1]، وفي رواية ثانية: إن أبا بكر بعد إن كان يتم أكل الكبد المشوي كان يرفع رأسه الى السماء ويتنفس الصعداء ويقول: أخ فيطلع الدخان من فمه، فيبكي عمر ويقول: كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان[2].

فيالها من مصيبة تستحق البكاء من عمر، ويالها من صعوبة بالغة إن يخرج الإنسان من فمه الدخان بعد أكل الكبد المشوي!!.

ونحن نترك الكلمة الفاصلة للقارئ الكريم ليحكم بنفسه بين من يبكي على كبده مشوية أو يبكي لأنه لا يقدر إن يخرج الدخان أو البخار من فمه، وبين من يبكي تأسيا بالرسول الأكرم ﷺ واستذكاراً لمصيبة سيد شباب أهل الجنة، فأي البكائين يستحق إن يسمى بدعة وأي البكائين يستحق أن يسخر منه؟.

وهذا المنع السياسي أو المنع المزاجي للبكاء قد استمر سنيناً طويلة الى إن بويع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأعاد هذه السنة المنسية كما أعاد غيرها من السنن، فبكى من على منبر الكوفة وأمام كل الناس عدة من أصحابه منهم مالك الأشتر رحمه الله تعالى حتى شجع الناس على البكاء عليه فقال «وعلى مثل مالك فلتبك البواكي»[3]، وبكى أيضاً على مصيبة

(١) الرياض النظرة للمحب الطبري ص١٣٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦، ص ٣٩١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ←

الإمام الحسين عليه السلام وما يجري عليه مرات ومرات.

ولكن ما إن عاد الأمر من بعده عليه السلام الى بني أمية حتى عاد التثقيف ضد البكاء والحزن مرة ثانية، واشتد الأمر يوماً بعد يوم حتى قتل الحسين عليه السلام، فاشتدت المحنة على الباكين على مصاب سيد الشهداء عليه السلام، لان كل قطرة دمع كانت بمثابة ثورة تفضح القتلة المجرمين، وكل أنين كان رمحاً يشهره الموالي في وجه الكسروية والفرعونية والأموية.

واستمرت الدول وتعاقبت الممالك فتارة عباسية وأخرى عثمانية إلى يومنا هذا، فشخصيات الحكام تتغير وسياساتهم تتبدل باستثناء الحزن والبكاء على سيد الشهداء فقد ظل مرفوضاً عندهم بجملته وتفصيله، وزاد في الطين بلة وزاد من المعاناة شدة تبني بعض فرق التكفير مسؤولية الردع عن البكاء والحزن، وجمعت جهدها وطاقتها على إماتة هذه السنة المقدسة، سعياً منها الى إطفاء هذا النور، ويأبى الله إلا آن يتم نوره ولو كره المشركون.

ج٦، ص٧٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار إحياء الكتب العربية.

المصادر والمراجع

« حرف الألف »

(١) القرآن الكريم

(٢) أصول الكافي / للشيخ الكليني: تحقيق علي اكبر غفاري / الناشر دار الكتب الإسلامية ـ آخوندي / الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

(٣) أنساب الأشراف / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤ / نشر مؤسسة الأعلمي بيروت.

(٤) أسد الغابة/لابن الأثير/الناشر: انتشارات اسماعيليان ـ طهران.

(٥) إرواء الغليل / محمد ناصر الدين الألباني / تحقيق زهير الشاويش / طبع المكتب الإسلامي / الطبعة الثانية ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م / الناشر المكتب الإسلامي ـ بيروت.

(٦) كتاب الأم / للإمام الشافعي / المطبعة دار الفكر / الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

(٧) الأمالي / للشيخ الصدوق / تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم / الناشر مؤسسة البعثة / الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

« حرف الباء »

(٨) بحار الأنوار / محمد باقر المجلسي / المطبعة مؤسسة الوفاء / الطبعة الثانية المصححة لسنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م / الناشر مؤسسة الوفاء بيروت ـ لبنان.

(٩) البداية والنهاية / لابن كثير الدمشقي / تحقيق علي شيري / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ / المطبعة دار إحياء التراث العربي / الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(١٠) بدائع الصنائع / أبو بكر بن مسعود الكاشاني / الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / الناشر المكتبة الحبيبية ـ باكستان.

(١١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق / ابن نجم المصري الحنفي/ تحقيق الشيخ زكريا عميرات / الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / المطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت / الناشر محمد علي بيضون.

(١٢) التوحيد / الشيخ الصدوق / تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني / الناشر جماعة المدرسين قم.

(١٣) تفسير الميزان / السيد محمد حسين الطباطبائي / الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

(١٤) تفسير القرطبي / محمد بن احمد الأنصاري القرطبي / المطبعة دار إحياء التراث العربي / الناشر مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(١٥) تفسير ابن كثير / إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي / المطبعة دار المعرفة / الناشر دار المعرفة - بيروت.

(١٦) ترجمة الإمام الحسين / لابن عساكر / تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي / المطبعة فروردين / الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

(١٧) تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب / المطبعة دار صادر بيروت / الناشر مؤسسة ونشر فرهنك أهل البيت - قم.

(١٨) تاريخ مدينة دمشق / لابن عساكر / تحقيق علي شيري / المطبعة دار الفكر / الناشر دار الفكر.

(١٩) تصحيفات المحدثين / الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري / تحقيق محمود احمد ميرة / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ / الناشر المطبعة العربية الحديثة.

(٢٠) تذكرة الفقهاء / العلامة الحلي / الناشر المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

(٢١) تنوير الحوالك / جلال الدين السيوطي الشافعي / تصحيح وضبط الشيخ محمد عبدالعزيز الخالدي / الناشر محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.

(٢٢) تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

« حرف الجيم »

(٢٣) جامع البيان عن تأويل آية القرآن / محمد بن جرير الطبري / ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار / المطبعة دار الفكر بيروت.

(٢٤) الجوهر النقي / علاء الدين الماrديني / المطبعة دار الفكر.

« حرف الحاء »

(٢٥) حاشية الدسوقي / شمس الدين محمد بن عرفه الدسوقي / الناشر دار إحياء الكتب العربية.

« حرف الدال »

(٢٦) الدر المنثور / جلال الدين السيوطي / الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ/ المطبعة الفتح ـ جدة / الناشر دار المعرفة.

(٢٧) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه / عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي / تحقيق حسن السقاف / الطبعة الثالثة / المطبعة دار الإمام النووي ـ عمان، الأردن / الناشر دار الإمام النووي.

« حرف الذال »

(٢٨) ذيل التاريخ بغداد / ابن الدبيشي / دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / طبع ونشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

« حرف الراء »

(٢٩) روضة الطالبين / يحيى بن شرف النووي / المطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت / تحقيق الشيخ عاد ل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

« حرف السين »

(٣٠) سنن الدرامي / عبد الله بن بهرام الدارمي / الناشر مطبعة الاعتدال ـ دمشق.

(٣١) سنن النسائي / أحمد بن شعيب النسائي / الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠م/ الناشر دار الفكر ـ بيروت.

(٣٢) سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف / مطبعة دار الفكر / الناشر دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣ هـ.

(٣٣) السيرة النبوية / لابن كثير / تحقيق مصطفى عبد الواحد / الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ / الناشر دار المعرفة ـ بيروت.

(٣٤) سير أعلام البلاء / للذهبي / تحقيق شعيب الارنؤوط وحسين الأسد / الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ / الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٣٥) السرائر / ابن إدريس الحلي / الطبعة الثانية / تحقيق لجنة التحقيق / الناشر والمطبعة جامعة المدرسين قم ١٤١٠هـ.

« حرف الشين »

(٣٦) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / المطبعة منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي / الناشر دار إحياء الكتب العربية.

(٣٧) شرح مسلم / النووي / الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٣٨) الشرح الكبير / عبد الرحمن بن قدامه / المطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

« حرف الصاد »

(٣٩) صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري / المطبعة دار الفكر بيروت / بيروت / الطبعة: طبعة بالاوفست من طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول / الناشر دار الفكر بيروت.

(٤٠) صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج / الناشر دار الفكر ـ بيروت.

(٤١) الصحاح / إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار / الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ / الناشر دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٤٢) صراط النجاة / الميرزا التبريزي / الناشر دفتر نشر بركزيده.

« حرف الطاء »

(٤٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد / الناشر دار صادر بيروت.

« حرف العين »

(٤٤) عيون الحكم والمواعظ / علي بن محمد الليثي / تحقيق حسين حسن البيرجندي / المطبعة دار الحديث سنة ١٣٧٦هـ

الأولى.

« حرف الفاء »

(٤٥) فتح الباري / لابن حجر العسقلاني / الطبعة الثانية / المطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

(٤٦) فتح العزيز / عبد الكريم بن محمد الرافعي / المطبعة دار الفكر.

(٤٧) فتح العزيز / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / المطبعة عالم الكتب / الناشر عالم الكتب.

« حرف الكاف »

(٤٨) كنز العمال / المتقي الهندي / تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا / المطبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان.

« حرف الميم »

(٤٩) من لا يحضره الفقيه / للشيخ الصدوق / صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري / الناشر جامعة المدرسين قم.

(٥٠) مئة قاعدة فقيهة / محمد كاظم المصطفوي / الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم.

(٥١) مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل / مطبعة دار صادر

بيروت.

(٥٢) مسند أبي يعلى / أحمد بن علي المثنى التميمي / تحقيق حسين سليم أسد / مطبعة دار المأمون للتراث.

(٥٣) مجمع الزائد ومنبع الفوائد / نور الدين الهيثمي / طبع دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(٥٤) مستدرك سفينة البحار / علي النمازي الشاهرودي / تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي / الناشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين.

(٥٥) المبسوط / للشيخ الطوسي / تحقيق محمد تقي الكشفي / مطبعة الحيدرية / طهران.

(٥٦) المعتبر / المحقق الحلي / تحقيق بإشراف الشيخ ناصر مكارم / الناشر مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام.

(٥٧) منتهى المطلب / العلامة الحلي / مقابلة حسن بيشنماز / الناشر حاج أحمد ـ تبريز ـ ١٣٣٣.

(٥٨) مختصر المزني / إسماعيل بن يحيى المزني طباعة ونشر دارالمعرفة.

(٥٩) مغني المحتاج / محمد الشربيني الخطيب / المطبعة دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م.

(٦٠) مواهب الجليل / الحطاب الرعيني / تحقيق الشيخ زكريا

عمـيران / الطبعـة الأولى سـنة ١٤١٦ / المطبعـة دار الكتـب العلمية ـ بيروت.

(٦١) المغني / ابن قدامة / المطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٦٢) مستدرك الوسائل المحقق النوري الطبرسي / تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / الناشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث الطبعة الأولى لسنة ١٤٠٨هـ.

(٦٣) المصنف / عبدالرزاق الصنعاني / تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي / الناشر المجلس العملي.

(٦٤) المعجم الكبير / سليمان بن أحمد الطبراني / تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي / المطبعة دار إحياء التراث العربي / الناشر مكتبة ابن تميمة ـ القاهرة.

الفهرس

